دراسة مقارنة تعليم الكبار
في الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

منيرة محمد العبد الله
طالبة في مرحلة الدكتوراه جامعة الملك سعود
تعليم الكبار والتعليم المستمر

المقدمة:

تقوم الحضارة الإنسانية على تعليم أفرادها مهما كان سنهم ومهما كان وضعهم الاجتماعي والاقتصادي، وتمكينهم من الحصول على المهارات المعرفية والحرفية، مما أدى الى الاهتمام بتعليم الكبار منذ القدم، فالعنصر البشري أغلى الاستثمارات ووسيلة التقدم الحضاري لأي مجتمع قديماً وحديثاً، وما أن ظهرت رسالة الإسلام المجيدة، حتى حضت على الأخذ بأسباب الحضارة، كما يتبين لمن يتفهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ويقتفي سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وتاريخ الخلفاء الراشدين، ويقف على تاريخ ملوك المسلمين، في كل عصور قوتهم وازدهار ملكهم.

ويعتبر الإسلام أول عقيدة كرمت العلم والعلماء، ومعنى هذا أنه يعني بأصل الحضارة وقوتها الدافعة، وليس لنا أن نعجب إذا كانت أول سورة نزلت على قلب النبي الكريم: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق، ١ – ٥).

Made With Pdf Office

وفي هذه الآيات حصر الله العقل والتدبر في آيات الله، وما يضربه من أمثال للعبرة والعظة، بالعلماء دون غيرهم، وهذا تكريم لهم، ولفت الأنظار إليهم، وإلى مكانتهم في المجتمعات، ما بعده من مزيد، قال تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ فاطر، وقال تعالى: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ العنكبوت، وفي الحديث عن الرسول الكريم صل الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء" رواه أبو داود والترمذي، ومن المعلوم أن الأنبياء هم الذروة العليا في الكمال الإنساني، وإذا كان الإسلام قد كرم العلماء، وأشاد بدورهم في المجتمع، فإنه حث على طلب العلم والمعرفة، في كل زمان ومكان، قال تعالى: "فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمونَ" (النحل،٤٣)، والذكر هنا هو العلم على رأي جمهرة المفسرين بدليل قوله تعالى: "إن كنتم لا تعلمون". وقد قال صل الله عليه وسلم في هذا المجال:" طلب العلم فريضة على كل مسلم" رواه البيهقي وابن عبد البر، وقول الرسول صل الله عليه وسلم "من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع" رواه الترمذي.

ومما سبق يتبين لنا أن الإسلام قوة دافعة للحركة الحضارية، وأن الحضارة بجميع ألوانها أصداء للإسلام، وان العلوم والإنتاج والتعمير من مقتضيات الإسلام (الملا،١٤٠١، ص١١٣-١١٤)، وقد بدأ الإسلام بتعليم الكبار قبل الصغار لكونهم مسؤولون عن نشر الدعوة الى الله، ولقد عرف العصر الذهبي الإسلامي نقل علم القراءة إلى أوربا التي كانت تغط في سبات الجهل من خلال إسبانيا المسلمة أي (الأندلس)، وكان هذا بمثابة الانطلاقة لما اصطلح على معرفته بعصر النهضة الأوربية، والتي كانت الانطلاقة الأساس لتقدم أوربا والغرب كافة (اشتاتو،٢٠٠٧، ص٣٣-٣٤).

Made With Pdf Office

وظهرت الحاجة لتعليم الكبار في الحضارة الغربية؛ بسبب التغيرات المجتمعية وتحولها من مجتمعات الزراعة إلى الصناعة ثم إلى مجتمعات المعرفة بسبب الثورة التكنولوجية والمعرفة، مما أدى إلى الاهتمام بالكبار، وإعادة تدريبهم بما يتناسب مع العصر، كما أن هذه التغيرات أدت إلى رغبة الكبار في تحقيق ذواتهم، والسعي الى الحصول على عمل والترقي فيه، كما أن تعدد الأدوار التي يقوم بها الكبار وتعقد الحياة؛ زادت من الحاجة لتعليمهم.

مما سبق يتجلى لنا دور الدين الإسلامي في تكوين حضارة تعليم الكبار الإسلامية، وتأثيره على المجتمع الإسلامي، وعلى الحضارات التي استفادت من العلوم التي نبغ فيها المسلمون على مدى سبعة قرون، وظهور الحضارة الغربية في القرون الوسطى واستمرت حتى الآن، واهتمام كلا الحضارتين بتعليم الكبار، على اعتبار أن الكبار هم من يقومون بدفع المجتمع نحو التقدم.

وعليه فإنه سيتم تناول المقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في تعليم الكبار والوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بينهما، والخروج بنواتج كل من الحضارتين الإسلامية والغربية. مما يسهم في الرصيد العلمي لتعليم الكبار وتأصيله.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث فيما يلي:

١- التعرف على تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية، مما يدعم تأصيل علم تعليم الكبار في الإسلام.

Made With Pdf Office

٢- أن مسيرة الحضارة الإسلامية المضيئة في تعليم الكبار ستفيد القائمين على تعليم الكبار والمربون، بما يرقى بنظم تعليم الكبار في البيئات الإسلامية، وبما يتناسب مع أيدلوجية المجتمع، وتوظيفها في الواقع، بما يسهم الفكاك من التبعية.

٣- التعرف على تعليم الكبار في الحضارة الغربية وجوانب التطور فيها، والنظر لها بعين ناقدة، والخروج بفوائد قد تسهم في تطوير تعليم الكبار في المجتمعات الإسلامية.

٤- بيان جهود الحضارة الإسلامية في تعليم الكبار.

٥- الخروج بنتائج من المقارنة بين الحضارتين وإثراء تعليم الكبار معرفيا وعمليا.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى المقارنة بين دراسة عدة أبعاد للحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في تعليم الكبار، في الجوانب التالية:

١- تاريخ تعليم الكبار في الحضارتين العربية والغربية، وبداياته.

٢- الغاية من تعليم الكبار في الحضارتين.

٣- رواد تعليم الكبار في الحضارتين.

٤- مؤسسات تعليم الكبار في الحضارتين.

٥- تمويل برامج تعليم الكبار في الحضارتين.

٦- تعليم المرأة في الحضارتين.

حدود البحث:

سيقتصر البحث على: إجراء مقارنة لتعليم الكبار في الحضارتين الإسلامية والغربية، من حيث (تاريخ تعليم الكبار، الغاية من تعليم الكبار، رواد تعليم الكبار، مؤسسات تعليم الكبار، تمويل تعليم الكبار، تعليم المرأة).

Made With Pdf Office

إجراءات البحث:

منهج الدراسة:

دراسة مكتبية للحضارتين الإسلامية والغربية، وتحليل كل ما كتب عن تعليم الكبار في الحضارتين، وعقد المقارنات، والتوصل إلى نتائج.

الدراسات السابقة:

دراسة إبراهيم، (٢٠٠٧)، بعنوان: تعليم الكبار عبر العصور:

هدفت الدراسة إلى إبراز نشأة تعليم الكبار وتطوره في العصور المختلفة بدءا من العصور القديمة ممثلة في الحضارات المصرية والهندية القديمة والصينية القديمة والإغريقية القديمة، ثم تناول تعليم الكبار في العصور الوسطى (المسيحية –الحضارة الإسلامية) وتعليم الكبار في العصور الحديثة (الولايات المتحدة الأمريكية –المملكة المتحدة – الصين الشعبية –جمهورية مصر العربية)، استخدم أسلوب السرد التاريخي، ومن النتائج التي توصل لها أن بداية ظهور مدارس لتعليم الكبار في أوربا في العصور الوسطى؛ والتي منها: مدارس تعليم مبادئ المسيحية، ومدارس الحوار الديني، والمدارس الأسقفية والكاتدرائية، ومدارس الأديرة. ومن الانتقادات الموجهة لمدارس الديرة أنها كانت مقتصرة على أسفار الكتاب المقدس ولم يكن الهدف لقصد الدراسة بل وسيلة تهذيبية وقضاء وقت الفراغ، وانخفاض المستوى الثقافي لبعض الرهبان. أما في العصر الحديث فقد اتفق المؤرخين أن تعليم الكبار بدأ في أمريكا عام ١٦٧٠م. وبدأ في إنجلترا مع بداية الثورة الصناعية الأولى التي أدت إلى ميكنة العمل البدني، وتعددت برامج تعليم الكبار وتنوعت أثرت في حركة تعليم الكبار، ومصطلح تعليم الكبار لم يكن متداولاً قبل ١٩٢٤م.

Made With Pdf Office

كما ذكر أن الحضارة الإسلامية تنوعت مؤسسات تعليم الكبار والتي منها: المساجد، وقصور الأثرياء، وحوانيت الوراقين، ومنازل العلماء، ودور الحكمة والجمعيات والمجالس العلمية والأدبية، والبيمارستنات. واتسم تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية بالتعلم مدى الحياة، والتعليم المفتوح، وحرية الأساتذة، والارتحال في طلب العلم، والمساواة بين الذكر والأنثى

دراسة الرشدان (١٩٩٤) بعنوان: تطور المهنة التعليمية والإعداد المهني لمعلمي الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين وأثرة في التعليم المعاصر:

هدفت الدراسة إلى ابراز ملامح التطور الذي صاحب مهنة التعليم عملية الإعداد المهني لمعلمي الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين في العصور الوسطى وأثر ذلك على التعليم المعاصر، استخدم الباحث المنهج التاريخي،اعتمد فيها الباحث على مراجع قديمة وحديثة، وتوصل الباحث إلى أن الصفة العامة في إعداد معلمي الصغار هي طريقة الاعداد الذاتي، أما أساتذة الكبار فقد كانت لهم درجات وظيفية مختلفة لكل منها أعداد مناسب. وأن التعليم المعاصر الإبتدائي والعالي في شتى بلاد العالم العربية والأسلامية والغربية قد تأثر في كثير من مظاهر اعداده سلباً أو إيجاباً بعملية الإعداد المهني للتعليم الأولي والعالي عند المسلمين.

دراسة صابر (١٩٨٨) بعنوان: تعليم الكبار في الإسلام.

تناول الباحث فيها أهمية العودة إلى الإسلام ومبدأ التعليم في الإسلام، وتعليم الكبار في الإسلام، والتعليم المستمر مدى الحياة، ومحو الأمية في الإسلام، وأهمية جمع هذا التراث، مما كتبه من علمائنا، وهو متفرق في أمهات المراجع الإسلامية والعربية، وتصنيفها وتحليلها، يكون الخطوة الأولى في هذا السبيل، والكشف عن وجود

Made With Pdf Office

كثير من الأفكار والنظريات النافعة التي تعين في حل كثير من مشاكل التربية، كديمقراطية التعلم والزامه وتعميمه، وتمويله وحل مشاكل، ونفقاته الباهظة، وغيرها من مشاكل التعليم، وما يمكن أن يقدمه الفكر التربوي الإسلامي بالتلاقح مع الأساليب العلمية الحديثة، والأطر الفكرية المعاصرة على أن يتم ذلك كله في بصيرة وقدرة وإيمان.

دراسات أجنبية:

دراسة Feltsan (2017): **Development of adult education in Europe and in the context of Knowles' study.** ***Comparative Professional Pedagogy***

تتناول الدراسة فكرة تاريخ تعليم الكبار في أوروبا، يسلط الضوء على البرامج والأحداث الرئيسية، التي كانت مساهمة كبيرة في تطوير التعلم مدى الحياة .في العصور القديمة، كان الطلاب البالغون يعتبرون الجمهور البارز في المحاضرات الفلسفية للعقول الخالدة، بعد فترة التصنيع والمساواة الاجتماعية، أصبح التعليم الابتدائي والثانوي الموضوعات ذات الأولوية في السياسات الحكومية .فقط بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت الحاجة لمراجعة أو ترقية المعرفة الموجودة بالفعل، وفي أواخر ٢٠٠٠ مع واقع الهجرة وشيخوخة السكان، يأخذ تعليم الكبار الأهمية السابقة في أوروبا كان نولز أحد العلماء الذين كانوا يحققون في المجال في منتصف الستينيات وخلقوا الخلفية النظرية لمزيد من الأبحاث .كان موقفه ورؤيته لعملية تعليم الكبار تنبئًا بعصر جديد وتاريخي في أوروبا، حيث لعب الطالب دورًا مركزيًا جديدًا في عملية التعليم، وتم تشجيعه على تحمل المسؤولية عن أنسب الأساليب التي تتناسب مع أهدافهم، الاحتمالات والنوايا والتوقيت .في المجتمع الحديث، هناك حاجة ملحة لتغييرات في

Made With Pdf Office

مناهج تعليم الكبار، للعمل الفردي الأكثر ملاءمة للعمر ويضمن استخدام الخبرة الشخصية .مخطط أبعاد النضج الذي قدمه، نولز يجلب فهم الميول النفسية للبالغين، السلوك والأهداف التي قد تساعد Andragogue لاتخاذ قرار بشأن الأساليب المختارة لتحقيق نتائج تعليمية، يجب أن يوضح التحديد الواضح للمفاهيم ويساعد على تجنب سوء الفهم حول "من الذي يجب أن نعتبره بالغًا؟

دراسة: Legislative History Of Adult Education In The USA (2014) Chugai

ورقة مقدمة في مؤتمر الشركاء الدوليين لمركز البحوث الدولية" (IRC) التعاون، تم فيه تحليل مشاركة الحكومة الفيدرالية في تعليم الكبار، وطبيعة ومدى التدابير التشريعية المتخذة لتحسين جودة تعليم الكبار في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعتبر تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية غني بالإصلاحات التعليمية، فقد كان الرئيس توماس جيفرسون أول زعيم أمريكي يقترح إنشاء نظام تعليمي تسيطر عليه الحكومة، وخالي من التحيزات الدينية، ومتاح لجميع الناس بغض النظر عن وضعهم في المجتمع. كان كل من هوراس مان وهنري بارنارد مصلحي التعليم المبكر الذين اعتقدوا أن التعليم هو المعادل العظيم للشعب. وتقدم تواريخ الولاية دليلاً على تعليم الكبار المنظم في الولايات المتحدة الأمريكية في وقت مبكر من القرن الثامن عشر. وكانت المدارس المسائية للبالغين، والتعليم بدوام جزئي، ودروس المواطنة أو الأمركة للمهاجرين من رواد حركة الدولة وتعليم الكبار الفيدرالي، والقوى الهامة بشكل خاص التي أثرت على تعليم الكبار الأمريكيين هي فكرة تحسين الذات والتعليم الليبرالي والتدريجي، ترتبط فكرة التحسين الذاتي ببنيامين فرانكلين – المخترع ورجل الدولة والموقع على إعلان الاستقلال، مؤسس

Made With Pdf Office

Janto، وهي جمعية تطوعية لتحسين الذات، كما يهتم تعليم الكبار الليبرالي للطبقة المتوسطة التي تسعى إلى التحسين العقلي، وكذلك برامج المتقاعدين، وبقضايا جودة الحياة، وإن جوهر حركة التعليم التقدمي هو أن الحكومات موجودة لمساعدة الناس على حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي يمكن للمجتمع أن يتحسن ويجدد نفسه من خلال التعليم. وكان أكثر مظاهر هذا الارتباط وضوحًا هو "فكرة ويسكونسن" التي تجمع بين البحث والتعليم وحل المشكلات في الواقع، والتي تم تأسيسها بموجب قانون موريل. وغالبًا ما يشار إلى قانون موريل باسم شرعة الحقوق التعليمية التي منحت الأراضي العامة للكليات التي تقدم الزراعة والفنون الميكانيكية، وتبنى قانون موريل، أو كلية الأرض الكبرى لعام ١٨٦٢، مبدأ الكليات كمؤسسات "شعبية". تسبب فشلهم في جذب أعداد كافية من الطلاب الجامعيين في اللجوء إلى سوق الكبار، ولا يزال هذا صحيحًا بالنسبة للغالبية العظمى من الكليات التقليدية التي تركز على خدمة الكبار.

ومن بين الجهود السابقة التي بذلها الكونغرس لمساعدة التعليم؛ كانت الأعمال المصممة لسد الحاجة إلى التعليم الصناعي والمهني، وبدأت معاهد المزارعين عام ١٨٥٤م، وأدت إلى الاهتمام بالتعليم الزراعي على مستوى المدارس الثانوية والكلية، كما قدم قانون هاتش لعام ١٨٨٧م الأموال الفيدرالية للتجارب الزراعية، وأنشأ قانون سميث ليفر لعام ١٩١٤م برامج الإرشاد الزراعي للمزارعين، وتلقت حركة المدرسة المهنية دفعة كبيرة عندما صدر قانون سميث هيوز الفيدرالي لعام ١٩١٧م، وقدم هذا القانون مساعدة اتحادية للولايات من خلال دفع رواتب المعلمين المهنيين في المدارس الثانوية ومساعدة مؤسسات تدريب المعلمين، وأدى الاهتمام الجديد بعلم النفس إلى بداية التوجيه المهني الذي تطور إلى خدمات استشاريةPulliam) ، ١٩٩٤ .(شجع

Made With Pdf Office

الكونغرس التعليم المهني أيضًا من خلال قانون جورج ريد (١٩٢٩)، وقانون جورج دين (١٩٣٧). خلال الحرب العالمية الأولى، وجدت الحكومة أنه من الضروري تدريب العديد من الفنيين، ولكن الخمول الصناعي خلال فترة الاكتئاب أدى إلى نقص كبير في الفنيين والمهندسين المدربين. وقدم برنامج تدريب الدفاع الوطني لعام ١٩٤٠م دورات لأكثر من سبعة ملايين عامل خلال الحرب العالمية الثانية. والنمط السائد هو اللامركزية عندما تكون حكومات الولايات والحكومات المحلية أكثر فعالية من الحكومة الفيدرالية. بشكل عام، وكانت الجهود الفيدرالية مفككة في بعض الأحيان، وفي بعض الأحيان تتداخل مع برامج أخرى تركز على تعليم الكبار.

دراسة: In Quest Of Knowledge: Adult Education In Sixteenth Century:(1980) Newsom England And Its Relation To The Origins Of The" Modern Era" Of Adult Education:

يرجع تعليم الكبار في إنجلترا إلى القرن السادس عشر، وليس فقط إلى القرن التاسع عشر في إنجلترا كما ذكر فيرنر وتريفيليان وآخرون .العاملان اللذان أعطيا أكبر دفعة لتعليم الكبار في القرن السادس عشر هما الإصلاح البروتستانتي والطباعة، و أنشأ الإصلاح نظامًا قيمًا يتطلب البالغين المتعلمين، بينما وفر تطوير الطباعة الوسائل لنشر المعلومات على البالغين الذين يعرفون القراءة والكتابة، كما أن العوامل الرئيسية الأخرى في أصل تعليم الكبار هي مساهمات العديد من العلماء والمحاضرين والمعلمين، وجمعية الآثار، وكلية جريشام، وجهودكل من روبرت ريكورد، وجون ديوي، وتوماس هود، فقد ساهموا في تعليم الكبار من خلال التدريس باللغة الإنجليزية وتعميم الرياضيات والعلوم، وخاصة المبادئ التطبيقية التي يحتاجها الملاحون والبناة، وشجعت

Made With Pdf Office

جمعية الآثار (١٥٧٢-١٦٠٤) دراسة تاريخ اللغة الإنجليزية وجمع العناصر المتعلقة بالآثار الإنجليزية، وبدأت كلية جريشام عام ١٥٩٦م بتقديم محاضرات في لندن، ,لقد كان امتدادًا لجامعات أكسفورد وكامبريدج أكثر من منافس لهم، واجتذب جماهير من الطبقات المتوسطة والعليا، وفي أواخر القرن العشرين فجر أشكال جديدة لتعليم الكبار بسبب ارتفاع معالجة المعلومات الإلكترونية (KC) .

دراسة Patterns Of Adult Education, A Comparative Study (1965) Ulich:

وتم فيها عرض ومقارنة تاريخ تعليم الكبار في الدنمارك وإنجلترا وألمانيا والولايات المتحدة، ويعمل تعليم الكبار من خلال مجموعة متنوعة من المؤسسات خارج نظام المدارس العامة والجامعات المناسبة، لنداءات طوعية وثابتة للناس الذين لم يتقدموا بالتعليم الرسمي، وتم تحديد مراحل مختلفة من التنمية، خلال المرحلة الأولى، الجمعيات الدينية والخيرية أو أصحاب الفصائل الفردية المنظمة في مدارس تعليم الكبار المنظمة، تم إنشاء المؤسسات التعليمية الخاصة من رغبة حقيقية في شروط أفضل أقل خلال المرحلة الثانية من التنمية، ولكن كان لا يزال يتم التحكم فيها من أعلى، والمرحلة الثالثة رأوا الناس يخططون بنشاط تعليمهم الخاص، وتعليم الكبار يعكس الشروط الاجتماعية في كل بلد والمرحلة الخاصة من التنمية.

التعليق على الدراسات:

تناولت الدراسات السابقة في حضارات تعليم الكبار؛ موضوعات متفرقة في مجال تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية، وتناولت مقارنات بين الدول، ولكنها لم تتناول مقارنة بين الحضارتين الإسلامية والغرب في تعليم الكبار، ولم تتناول

Made With Pdf Office

جوانب مهمة في تعليم الكبار مثل التمويل سوا دراسة شوجي(٢٠١٤)، ودراسة صابر (١٩٨٨)، كما لم تتناول تعليم المرأة، وأوضحت هذه الدراسات التطورات في مجال تعليم الكبار منذ ظهوره في الدول أو الحضارة حتى فترات معينة وبعضها حتى الوقت الحاضر.

الجزء النظري:

أولا: مفهوم الحضارة

الحضارة لغة:

يراد بالحضارة (بفتح الحاء المهملة وكسرها) في اللغة العربية لإقامة الحضر، وسكنى المدن والقرى. ويقابلها لفظ " البداوة " (بفتح الباء المعجمة وكسرها) الذي يعني السكن في البادية. قال ابن منظور المصري (ت٧١١هـ): ... حضر يحضر حضوراً وحضارة. ويعدى فيقال " حضره وحضيره يحضره، وهو شاذ، والمصدر كالمصدر.. والحضر: خلاف البدو. والحاضر: خلاف البادي ... الحاضر: المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم في البادية ... ويقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية، وفلان حضري وفلان بدوي. والحضارة: الإقامة في الحضر (امعيضشو،٢٠٠٨، ص٢٥).

الحضارة اصطلاحاً:

وإذا رجعنا إلى المعاجم الأجنبية كالمعجم الإنجليزي أوكسفورد، وجدنا أن مصطلح " الحضارة " Civilization مشتق من الجذر اللاتيني "Civites " مدينة و "Civis "(ساكن المدينة) أو "Civilis" (مدني). ويقصد به الاستقرار في الحواضر والمدن، مع ما يستتبعه ذلك من اجتماع وتنظيم (امعيضشو،٢٠٠٨، ص٢٦).

Made With Pdf Office

الحضارة الإسلامية:

الحضارة الإسلامية هي ما قدمه الإسلام للمجتمع البشرى من قيم ومبادئ، وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي وتيسِّر الحياة للإنسان (الحشود، ٢٠١١، ص١١٤).

الحضارة في منظور مثقفي الغرب:

برأي ديورانت في الموضوع. يقول " الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي. وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون. وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهض للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها (امعيضشو،٢٠٠٨، ص٢٨)، وهي إنتاج الإنسان المدني الاجتماعي بخصائصه الفكرية والروحية والوجدانية والسلوكية تحقيقاً لأهداف أمته، وما ارتضته هذه الأمة لنفسها من قيم ومثل ومبادئ (علوان، ١٩٨٠، ص ٦٥).

جوانب الحضارة:

الأول: مظاهر الرقي المادي الذي يشمل جميع جوانب الحياة من صناعة وتجارة، وزراعة واختراع وفنون.

الثاني: مظاهر الرقى المعنوي الذي يتصل بالقيم الروحية، والقواعد الأخلاقية والإنتاج الفكري والإبداع الأدبي.

وبناء على هذا التعريف والاستخلاص نقول: إن الحضارة لا تكون ذات طابع إنساني لدى الحضاريين حتى تتصف بالرقي المادي، والمعنوي على حد سواء، ذلك

Made With Pdf Office

لأن الحضارة حسب التعريف الآنف الذكر لا تقاس بالتقدم العلمي أو الصناعي أو الآلي أو العمراني، إلا بمقدار ما يكون ذلك تعبيراً عن مقاصد إنسانية صالحة وتجسيداً لمبادئ خلقية فاضلة (علوان، ١٩٨٠، ص ٥-٦).

التربية المقارنة:

يعرف جورج بيريداي التربية المقارنة بأنها: فرع التربية الذي يحاول أن يعطي معنى للتشابهات أو الاختلافات في النظم التعليمية المختلفة، كما أنها عصور الأساليب التعليمية المختلفة عبر الحدود القومية. ويعطي بيريداي قيمة هامة لدور التربية المقارنة في دراسة المشكلات التربوية ووصف مظاهرها ومسبباتها (بكر،٢٠٠٦، ص٢-١٣).

أولا: تاريخ تعليم الكبار:

١-١- تاريخ تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

لا يمكن فهم التغيير الجذري الذي أحدثه الإسلام في أعراب الجزيرة العربية، فحولهم من قوم يعيشون على (الفتات) الحضاري لجيرانهم المتحضرين، وخاصة الفرس والروم، إلى حاملين للواء الحضارة الإنسانية. لا يمكننا فهم هذا التغيير الجذري إلا بالرجوع إلى المنطلقات الفكرية التي تنزل بها القرآن الكريم، فكان أول ما تنزل من آياته -بإجماع الآراء- الآيات التي تفتتح بها سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ # خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ # اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ # الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ # عَلَّمَ **الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾.

لقد تنزلت هذه الآيات، التي بدأت بها خطاب السماء إلى الأرض، على قلوب آمة أمية، لا تعرف القراءة والكتابة، ولا تعرف القلم الذي تتم الكتابة به، ولا ترى حاجة لهذا ولا لذاك، إلى المشتغلين بالتجارة، وقد كانوا قليلين.. إنه تكليف إلهي للمؤمنين بالإسلام أن يقرأوا، وأن يكتسبوا، وأن يفكروا في أنفسهم، وفي ملكوت السماوات والأرض، حتى

Made With Pdf Office

يتمكنوا من حمل الأمانة التي عرضها الله سبحانه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، لحكمة يراها الله سبحانه، ويعرضها في ختام (سورة الأحزاب):

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا # لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. آية ٧٢-٧٣.

إنه تكليف إلهي للإنسان المسلم.. والتكليف لا يكون إلا للكبار والراشدين، ومن ثم تكون الأوامر الإلهية الصادرة في القرآن الكريم بشأن القراءة والكتابة وطلب العلم، وغيرها من (التكاليف الشرعية) – شأنها في ذلك شأن النواهي –إنما يحاسب عليها– شرعاً– المكلفون، أي الذين بلغوا (سن الحلم)، أو الاحتلام، أو المراهقة (بلغتنا نحن في هذا الزمان)، ويكون هؤلاء الكبار، أو الراشدون، مطالبين شرعاً بمداومة القراءة والتفكر والتدبر طوال حياتهم.. كان هؤلاء الكبار الراشدون هم الذين يتدافعون إلى الالتفاف حول الرسول صلى الله عليه وسلم، لينقلوا عنه ويعلموا ما تعلموه وينشروه، كما رأوا وسمعوا.. وروايات الأحاديث النبوية وأسانيدها وتصانيف الرواة في علم الحديث خير شاهد على ما فعله هؤلاء (المتعلمون الكبار) في خدمة الحياة الإسلامية، بل وفي خدمة البشرية كلها حتى تقوم الساعة، بما حفظوا ورووا وسجلوا ودونوا.. ولولاهم لكان بنو إسرائيل قد اخترقوا الإسلام، بما رووه من (إسرائيليات)، نجح العلماء المخلصون في كشفها وفضحها وتعريتها، حتى صارت هذه الأحاديث النبوية الشريفة.

وهكذا يكون الأصل –في التجربة الإسلامية– هو أن المستهدف بالتعليم والتعلم في الإسلام هم الراشدون الكبار، لأن التعليم كان في الأصل تعليماً للتكاليف الشرعية،

Made With Pdf Office

التي لا يقدر على فهمها واستيعابها إلا هؤلاء الكبار، الناضجون عقلياً، فقد جاء تعليم الصغار بعد ذلك.. بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، خدمة لنفس الغرض، وتمكينا لهؤلاء الصغار من أن يفوا بتكاليفهم الشرعية عندما يبلغون الحلم، الذي هم بالغوه بإذن الله في زمان بعينه.. وقد بدأ تعليم الصغار هذا في المسجد مع الكبار في البدايات، ثم انتقل إلى مكان تم إلحاقه بالمسجد، عندما لوحظ أن الأطفال لا يستطيعون المحافظة على طهارة المسجد ونظافته، ولا على الآداب الشرعية الواجب اتباعها فيه. (عبود، ٢٠٠٧، ص ١٢٦-١٢٨)

أقبل المسلمون في فجر الإسلام إقبالاً لا مثيل له في تاريخ أمة من الأمم على العلم والتعلم حتى أن الرسول ρ قال (إنما بعثت معلماً). وكان الدارسون من الصحابة يجلسون للعلم حلقاً في المسجد في عهد النبي. وظل الإسلام يدعو بثبات إلى التعليم للصغار والكبار طول عهد الرسول والخلفاء الراشدين. وجاء القرن الثاني للهجرة، وقد زادت عدد الكتاتيب وعدد المعلمين زيادة هائلة، حتى أصبح بكل قرية كتاب بل ربما وجد فيها أكثر من كتاب".

وفي القرن الرابع الهجري (عصر الحضارة الإسلامية الذهبي) بلغت العناية بالعلم والتعليم للكبار درجة عالية فكان العالم يجلس في المجلس وحوله المئات من طالبي العلم، وقد أورد آدم منز أن أبو الطيب الصعلوكين الأديب الفقيه مفتي نيسابور، وهي مركز علماء خراسان ويقال إنه حضر مجلسه أكثر من خمسمائة طالب علم في بعض جلساته. ومما يصور لنا مدى حب هؤلاء للتعلم وتعلقهم بمعلمهم، ما يحدثنا به السبكي في طبقاته: أن العالم إذا مات كسر تلاميذه المحابر والأقلام وطافوا في البلد نائحين مبالغين في الصياح، فلما مات الجوبني _ وكان خطيباً مشهوراً أيضاً– كسر منبره،

Made With Pdf Office

واشتركت نيسابور كلها في الحزن عليه. وقد ظهر إلى جانب المسجد نوع جديد من المؤسسات العلمية هي المدارس والمعاهد كالمدرسة التي بنيت لابن أسحق الإسفراييني (ت٤١٨هـ) والمدرسة التي بنيت لابن فورك (ت٤٠٦هـ).

لقد كان الإيمان الحقيقي والسعي في الحياة لا يكونان إلا مع العلم. وكذلك أوجب الإسلام على من تعلم العلم أن يعلمه إلى غيره فقال الرسول ρ (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار إلى يوم القيامة). ويقول بن حزم (ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم أما بأنفسهم وأما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم. وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك وأن يرتب أقواماً لتعليم الجهال) (الصافي،١٩٨٩، ص٢٣).

مراحل ظهور تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

الجزيرة العربية ودور الرسول محمد صل الله عليه وسلم في تعليم الكبار من الصحابة:

جاء الإسلام بالتوحيد مستهدفا محو الشرك بالله تعالى، ولما لم يكن التغيير متاحاً بدون أن تكون هنالك أداة مساعدة عليه فقد كانت تلك الأداة هي التعليم الذي لم يكن منتشراً في بلاد العرب. وقد كان ظهور الإسلام في جزيرة العرب يعني حدوث حركة شاملة لإنسان المجتمع الإسلامي، وحركة الإنشاء الحضارية تحدث أولاً في حياة الكبار وتنظيماتهم ومن ثم كانت العناية بالكبار، فقد توجه إليهم الرسول صل الله عليه وسلم بالدعوة لأنهم هم المكلفون والقادرون على الفهم والتطبيق الفوري وعلى إرشاد أهلهم وذويهم من الرجال والنساء والأطفال (خاطر، وجلال،١٩٧٢، ص٦٠).

Made With Pdf Office

لقد جاء الإسلام وحضارته المتميزة فأخرجت الناس من الظلمات إلى النور، وأكدت إنسانية الإنسان وأهميته في التنمية والعمران البشري والإسلام –كما يؤكده تاريخ البشرية– بدأ بالكبار (مدكور، ١٩٩٣، ص ٢٦) مادة وهدفاً – يعلمهم التصور العقائدي المتمثل بوحدانية الله ورسالة نبيه العظيم، ويعلمهم التصور الاجتماعي في بناء المجتمع –المعلم والمتعلم– الذي تسوده مبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الجنس واللون "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"، ولقد كان طلب العلم في الإسلام ليس فقط فريضة على كل مسلم ومسلمة بل إن تعليمه لغيره فريضة أيضاً، ولم تقتصر مادة التعليم في الإسلام على علوم الدين فقط، بل امتد إلى كل معرفة يحتاجها الإنسان في إصلاح دينه دنيا وآخرة.

كما أن التعليم في الإسلام لم يقتصر على مرحلة من عمر الإنسان دون غيرها لأن الإسلام يحث على التعليم المستمر مدى الحياة متمثلاً بحديث الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)، (اطلبوا العلم ولو في الصين)، فتعليم الكبار في الإسلام لا يحده حدود المكان ولا الزمان أو السن والمستوى العلمي أو الخبرة السابقة، ولقد تميزت التربية الإسلامية بأنها توجهت بالأساس إلى تعليم الكبار فكانت تربية شمولية تجاوزت الزمان والمكان –اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد–، وترى التربية الإسلامية أن ليس للعم حدود فدعت إلى تواضع العلماء "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"، "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ". كما أن التربية الإسلامية كانت مفتوحة للدارسين الكبار وأساتذتهم وشيوخهم فدعت إلى الارتحال والغربة في طلب العلم ولو في الصين. ولم تقتصر مراكز التعليم على العلوم النقلية أو الشرعية، بل شملت كذلك ميادين العلوم الأخرى .

Made With Pdf Office

ولقد مر تعليم الكبار في المجتمع الإسلامي بأدوار ثلاثة هي: (العقاد،١٩٧٣، ص ١-١٤)

الدور الأول: من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية (١٣٢هـ، ٧٤٩م)

لقد أولت هذه المرحلة من بداية الدعوة الإسلامية التعليم أهمية خاصة وجعلته مساوياً للحرية الإنسانية بحيث كان الأسرى المشركون من قريش يفتدون أنفسهم وحريتهم بتعليم المسلمين الكبار وقد سار الخلفاء الراشدون والصحابة على نهج الرسول العظيم في حث المسلمين على طلب العلم والتعليم. وأما الأمويون فقد اهتموا بالعلوم المتصلة بالدين والعقيدة بالإضافة إلى فنون الشعر والأدب واللغة العربية.

لقد ركزت هذه المرحلة في تعليم الكبار على تعليم مادة القراءة والكتابة كمدخل ضروري لحفظ القرآن الكريم وتدوينه ونشره، وكانت المساجد معاهد لدراسة القرآن والحديث وتعليم اللغة العربية وأصول الدين وفقهه.

أما الدور الثاني لحركة تعليم الكبار في التاريخ الإسلامي فيبدأ من قيام الدولة العباسية (١٣٢هـ، ٧٥٠م) حتى إنشاء المدارس النظامية في بغداد (٤٥٩هـ، ١٠٦٧م)

كان دور أوائل العباسيين أسمى أدوار العرب والمسلمين في الشرق. فقد أنقضى زمن الفتوحات وحل محلها عصر الحضارة التي بلغت أوجها في القرن الرابع الهجري، فنشطت الحركة العلمية وانتشر التعليم وتنوعت مادته لتشمل العلوم الشرعية واللسانية والإنسانية والاجتماعية والفلسفية فأنشئت الجامعات لتعليم الكبار وخدمة المجتمع حتى قبل بان الأصل في التعليم الجامعي يعود إلى جامعات المساجد وأن أول جامعة في العالم هي جامعة القرويين في المغرب (٢٤٥هـ). جامعة الأزهر (٣٥٩هـ). وقد اتسم

Made With Pdf Office

هذا العصر بالحرية الفكرية فسادت روح التسامح واختلاف المذاهب الفلسفية والدينية وامتزاج الثقافات وانتشار الحلقات الدراسية وحلقات الذكر والبحث والمناظرة. فاتسعت حركة التدوين والترجمة والتأليف في بيت الحكمة (١٧٠هـ) ومعاهد خزانة الكتب.

والدور الثالث لحركة تعليم الكبار يبدأ من نشأة المدارس النظامية (٤٥٩هـ، ١٠٦٧م) حتى انتهاء الخلافة العباسية وبداية سلطان العثمانيين على جميع البلاد الإسلامية (٩٣٢هـ، ١٥١٧م)

يدخل المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة بظهور الأتراك السلاجقة في القرن الخامس هجري عصره الثالث، عصر انقضاء العهد الذهبي للحضارة الإسلامية وبدء عهد الانحطاط وقد أصيبت الحضارة الإسلامية بضربة قوية وسط الدمار الذي أشاعه المغول الذي قضى على كثير من أماكن العلم والعبادة مما أدى إلى اضمحلال شأن اللغة العربية والثقافة العربية واضطراب الحياة التعليمية وانخفض مستواها وضعفت حركة التأليف والترجمة واختفى كثير من مؤسسات التعليم (العقاد،١٩٧٣).

وعندما تقوت شوكة أوربا في القرن الثامن عشر وتطور اقتصادها؛ عوض مقابلة الجميل بالجميل؛ سعت إلى غزو بلاد المسلمين وإذلالهم وذلك بتشجيع الجهل والخيانة من خلال القضاء على الكتاتيب والخلاوي والمدارس القرآنية والجامعات الإسلامية والزوايا ودفع الناس إلى التخلي عن القراءة والكتابة والبحث العلمي والإبداع، فحاربت اللغة العربية لغة القرآن الكريم، والحرف القرآني بدليل أنهما يتنافيان مع التقدم والتنمية وأنهما شيئان من رواسب الماضي لا مكان لهما في ذلك العصر (اشتاتو،٢٠٠٧، ص٣٥).

Made With Pdf Office

وبعد أن حصلت معظم الدول الإسلامية على استقلالها من القوى الاستعمارية الغاشمة بعد مقاومة شرسة خلال النصف الأول من القرن الماضي. وبخلاف ما روج له الاستعمار بأنه دخل إلى هذه البلدان بزعم حضاري تنويري، فإن أغلبية ساكنة العالم الإسلامي لم تستفد البتة من منافع هذه الحملة التنويرية. والأدهى من ذلك أن قوى الاستعمار سواء الفرنسي أو الإنجليزي أو الإسباني أو البرتغالي حاربت بشراسة مؤسسات التعليم الأصيل المنتشرة في مجمل البلدان الإسلامية من مدارس قرآنية وخلاوي وكتاتيب ومعاهد دينية، وحاربت الحرف القرآني كذلك بذريعة أن هذا النوع من التعليم وهذا النوع من الحرف لا مستقبل لهما يذكر، وأن خريجي هذه المؤسسات التعليمية لا مكان لهم في ركاب الحضارة الحديثة. وعوض هذا التعليم الإسلامي الأكثر انتشارا، سارع الاستعمار إلى فتح مدارس أوروبية تدرس باللغات الأوروبية مواد تعليمية لا صلة لها بواقع المتعلّم المسلم. وعملت هذه المدارس منذ البداية على تعليم أبناء النبلاء المتعاونين مع الاستعمار لإعدادهم لتولي مناصب إدارية متوسطة داخل الجهاز الإداري للمستعمر ليخدموا مصالحه حالا ومستقبلا بعد نيل الاستقلال، وهذا ما كان، وهذا كان سببا من أسباب تراجع نسبة المتعلمين في العالم الإسلامي بطريقة مهولة أدت إلى تخلف العالم الإسلامي اقتصاديا وتكنولوجيا وسياسيا واجتماعيا (اشتاتو،٢٠٠٧، ص٢١).

١-٢- تاريخ تعليم الكبار في الحضارة الغربية:

لم يكن لتعليم الكبار أي نشاط يذكر خلال القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر في العالم ككل رغم التغيرات التقنية الكبيرة التي حدثت فيما ين القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولم يكن هناك ثمة تفكير لبروز تعليم الكبار كعلم ومدرسة

Made With Pdf Office

ومؤسسة وجامعة إلا بعد أن شهد العالم العديد من اللقاءات التربوية، والمؤتمرات العلمية، والمنافسات العالية لحركة التطوير في النصف الثاني والأخير من القرن العشرين (لال،١٤٠٩، ص١٣).

وكان البداية التقليدية لتعليم الكبار في الغرب عندما كان الرهبان والراهبات يقضون عمرهم في الأديار يتعلمون قراءة اللاتينية بغرض قراءة الكتب والمخطوطات لكبار رجال الدين الكاثوليك، وقد ألغي البروتستانت هذه الظاهرة التي وسموها بالغباء وشجعوا الناس على قراءة المواد الدينية المسيحية بلغتهم الأم من أجل فهمها كاملاً. ونتيجة لهذا الإلغاء تراجعت اللاتينية إلى درجة الموت البطيء والانقراض الحتمي (اشتاتو، ٢٠٠٧، ص٣٤)،

وترجع الجذور التاريخية لتعليم الكبار في الغرب إلى القرن التاسع عشر، في داخل المنظمات والمعاهد، والاهتمام حينذاك بتتبع التغيرات الاجتماعية والثقافية، ويعتبر عصر التنوير المرحلة الأولى لتعليم الكبار، كما هو معروف الآن، وكان هدفه النهائي هو تحرير الإنسان، ومن هنا تأسست أولى نقابات العمال، والتي نادت بمتابعة التعلم.

وتحت تأثير الثورة الفرنسية، وسقوط النظام القديم وإقرار التعليم الإلزامي للجميع. ثم تبنت الحركات المسيحية الإنسانية والاجتماعية والعقلانية والسياسية، هذا المفهوم من التعليم الشعب الذي اتخذ تعليم البالغين بعد ذلك مفهوماً سياسياً، مع تقدم التصنيع، والذي صاحبه ظهور الطبقات العاملة والمتوسطة وكان هدفه تحرير الطبقات المعدمة، واتضح ذلك في نشأة اتحادات العمال وشعار التعليم الشعبي من اجل تحرير الشعب، بجانب بداية حركة تعليم العمال، تبعها بعد ذلك العمل النقابي وشعاره Life Long Learning سنة ١٩١٩م لها أهمية خاصة في تعليم البالغين، وأساس الجامعات

Made With Pdf Office

الشعبية على النمط الإسكندنافي، وأصبحت في سنة ١٩٤٣م كياناً مهماً في ميدان الأنشطة الاجتماعية والثقافية. تحت شعار النجاح عن طريق التعليم، الشكل الثالث للتعليم الشعبي النموذج الهولندي هذه الأشكال الثلاثة، والتي امتدت حتى الحرب العالمية الثانية.

المرحلة الثانية من تعليم الكبار؛ والتي تأسست الجذور الفكرية لهذه المعاهد التعليمية في مشروع التعليم الشعبي، سواء في التعليم أو التدريب المهني أو المعاهد تعليم البالغين والجامعة الشعبية بجانب الحركة العمالية. وبعد الحرب العالمية الثانية والنمو الاقتصادي بظهور الوقع الجديد: وقت الفراغ، واتجاه مدارس اللغات إلى تعليم البالغين الموجه لشغل وقت الفراغ، وتحسين مستوى الحياة، مع التركيز على احتياجات الحياة العملية في السادس وبمرتبة اقل من الناحية الفكرية، ويمكن اعتبار فترة السبعينات المرحلة الثالثة لتعليم الكبار، والذي فيها أصبح التعليم فيها الأداة المفضلة للتقدم والتنمية الشخصية، وازداد الاهتمام بالتدريب المهني (التعليم المستمر) (علام،٢٠٠٥).

ويشير أدريه ليستاج (ليستاج،١٩٨٢، ص٥) إلى أن مصطلح الأمي يرجع إلى عام ١٥٨٠، ثم بطل استخدامه قبل أن يظهر من جديد في نهاية القرن التاسع عشر، ولم يصبح متداولاً إلا خلال الأعوام الأربعين الأخيرة، أما مصطلح الأمية فهو يرجع إلى عام ١٩٢٢ بينما يعتبر مصطلح محو الأمية مصطلحاً حديثاً.

وقد ظل مفهوم محو الأمية الأبجدية سائداً حتى أواسط عام ١٩٦٥ أثناء الاجتماع العالمي لوزراء التربية في طهران حين ظهر إلى حيز الوجود مفهوم محو الأمية الوظيفي، أما مصطلح اندراغوجي فقد كان أندرسون وليندمان (١٩٢٧) أول من استخدم

Made With Pdf Office

مصطلح اندراغوجي في اللغة الإنجليزية، وذلك أثناء ترجمتها لبعض المقالات عن اللغة الألمانية تتحدث عن تجارب المدارس الشعبية في مجال تعليم الكبار، وأول من استخدام مصطلح الأندراغوجي إلى المدرس ألماني ألكسندر كاب في عام ١٨٣٣م، ويعود الفضل لانتشاره في أوروبا يعود إلى الجامعات اليوغسلافية التي أنشأت أقساما خاصة في فن مساعدة الكبار على التعلم منفصلة عن أقسام التربية فيها. وكان مالكوم نولز قد عرف بهذا المصطلح من أحد المربين اليوغسلافيين والمصطلح مشتق من الكلمة اليونانية aner ومعناها الرجل أو الكبير مقارنة بـ paid ومعناها الطفل. وهكذا فإن Andragogy تعني كما يرى نولز فن مساعدة الكبار على التعلم بينما تعني بيداغوجيا pedagogy فن تعليم الأطفال (مرسي،٢٠٠١).

ويعود الفضل في انتشار استخدام هذا المصطلح في اللغة الإنجليزية وبين المربين والعاملين في حقل تعليم الكبار إلى مالكوم نولز الذي قدم شرحاً وافياً لأصل الكلمة في كتابه: الدارس الكبير ذلك النوع المهمل، ثم وضع أسس فن مساعدة الكبار على التعلم في كتابة: الممارسة الحديثة لتعليم الكبار (١٩٨٠). ويعتبر نولز أحد الدعائم الأساسية لتطور حقل تعليم الكبار في أمريكا، كما يعتبر كتابه (١٩٨٠) أول عمل متكامل "لنظرية" فن مساعدة الكبار على التعلم.

ومن حيث التشريعات فهو يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وخلال هذه الفترة ظل تعليم الكبار نشاطاً تقوم به المؤسسات الاجتماعية عموماً والدينية منها بوجه خاص. ومنذ عام ١٨٦٠ بدأت الجامعات الشعبية تفتح أبوابها في الغرب وظهرت برامج محو الأمية والمدارس الصيفية ومدارس الأحد والدروس المسائية ومراكز الثقافة العمالية.

Made With Pdf Office

وفي النصف الأول من القرن العشرين بدأت الجامعات الاهتمام بتعليم الكبار كحقل أكاديمي. وكانت كلية المعلمين في جامعة كولومبيا الأمريكية أولى الجامعات الأمريكية التي قدمت لطلابها مساقات في مجال تعليم الكبار في العشرينات من هذا القرن. وفي عام ١٩٣٥ منحت الجامعة أولى شهادات الدكتوراه في ذلك الحقل. ثم قدمت كلاً من جامعة شيكاغو وجامعة أوهايو برامج دكتوراه في تعليم الكبار في عام ١٩٣٥م.

وتطور حقل تعليم الكبار تدريجياً حتى أصبح عدد أساتذة تعليم الكبار في عام ١٩٨٠ والمنتسبين إلى جمعية أساتذة تعليم الكبار ٤٠٧ يمثلون (١٠٨) جامعات أمريكية وكندية، كما بلغ عدد رسائل الدكتوراه في حقل تعليم الكبار سنويا ما يقارب مائتي رسالة في أمريكا وحدها، وقد حظي تعليم الكبار على المستوى العالمي بأهمية كبرى حيث عقد لهذا الغرض أربع مؤتمرات دولية هي على التوالي: مؤتمر السينور (١٦-٢٥ حزيران، ١٩٤٩)، ومونتريال (٢٢-٣١ آب، ١٩٦٠)، وطوكيو (٢٣ تموز – ٧ آب، ١٩٧٢). وأخيراً مؤتمر باريس (١٩-٢٩ آذار، ١٩٨٥).

والمتتبع لحركة تعليم الكبار منذ مؤتمر السينور حتى الآن يجد أن تعليم الكبار لم يعد نظاماً تعليمياً مرادفاً لمحو الأمية، أو للتربية الحرة أو التدريب المهني للعمال، أو لأمركة (Americanization) المهاجرين الجدد، بل أصبح حقلاً تربوياً عريضاً ومتنوعاً يشمل فيما يشمله التعليم الأساسي للكبار. والتعليم الموازي، والتدريب وإعادة التدريب، والأنشطة الثقافية المختلفة، وبرامج التربية الحرة وقضاء وقت الفراغ، ونشاط الإرشاد الزراعي. هذا التنوع جعل من حقل تعليم الكبار نشاطاً ضرورياً لكافة

Made With Pdf Office

المجتمعات ونشاطاً أساسياً للتنمية الفردية والمجتمعية تشرف عليه مؤسسات عديدة متنوعة الأهداف، ويشارك فيه مئات الملايين من الكبار.

وفي عام ١٩٦٧ اتخذ مجلس التعاون الثقافي الأوروبي مفهوم التربية مدى الحياة دليلاً له في مجال التربية وعلى المستوى الدولي تم بشكل نهائي تبنى مفهوم التربية مدى الحياة من خلال اللجنة الدولية حول تطوير التعليم برئاسة إدجار فور من خلال تقريرها الذي عرف بعنوان (تعلم لتكون)، والدعوة إلى التربية مدى الحياة ليست جديدة كلياً إذ جاءت على لسان ديري منذ عام ١٩١٦، في قوله (من البديهي أن التربية يجب ألا تتوقف عند ترك المدرسة. ولما كانت الحياة هي النمو والتربية هي الحياة فإن التربية هي مشروع توفير الظروف المواتية للنمو بغض النظر عن العمر).

وفي عام ١٩١٩ نشر في بريطانيا تقرير حول تعليم الكبار أشار إلى أن تعليم الكبار يجب ألا ينظر إليه باعتبار نشاطاً كمالياً مخصصاً لفئة قليلة، أن تعليم الكبار هو نشاط تعليمي ضروري للأمة، ولذلك فهو يجب أن يكون عالمياً ومدى الحياة، وسعياً منها لتطبيق هذا المفهوم بدأت دول العالم الصناعي سن التشريعات ووضع القوانين التي تكفل لأفرادها فرصة التعلم المستمر دون تكلفة أو تعارض مع أدوارهم الأخرى (عجاوي،١٩٩٤،١٦٢-١٧٤).

بادئ ذي بدء يمكن القول إن مصطلح تعليم الكبار لم يكن متداولاً قبل عام ١٩٢٤م، ومع ذلك فإن الفرص التعليمية التي أتيحت للكبار تمتد إلى ما قبل بزوغ شمس الحضارة.

Made With Pdf Office

نشأة حركة تعليم الكبار وتطورها في الولايات المتحدة الأمريكية:

لقد وصف Bryson (١٩٣٦)؛ أن تعليم الكبار في أمريكا لم يكن له طابع واحد مميز متسق، ولم يكن أبداً في إطار حركة شعبية لتجديد الثقافة القومية كتلك التي قامت بها المدارس الشعبية في الدنمارك بقيادة الأسقف جروندقيج، ولم يكن حركة لرفع المستوى الفكري والعقلي للمحرومين لاسيما الطبقة العاملة كما في بريطانيا العظمى. ولم يكن اهتماماً خاصا للحكومة تستخدمه للترويج لفلسفتها السياسية كما في إيطاليا وروسيا وألمانيا، وإنما كان يقوم بتعليم الكبار دائما مجموعة من الهيئات لأغراض مختلفة ومع أفراد من أصناف مختلفة، ولهذا السبب وصف بعض النقاد تعليم الكبار في أمريكا بأنه لا شكل ولا وجه له، والواقع أنه قد دخل الآن إلى كثير من أوجه الحياة في أمريكا أكثر من أي بلد أخر (مرسي،٢٠٠١، ص١٦٠).

يتفق بعض المؤرخين في الولايات المتحدة الأمريكية على أن عام ١٦٠٧م يمثل بداية حركة تعليم الكبار فيها، وفيما يلي مراحل تطورها:

١) حركة تعلمي الكبار في القرنين السابع عشر والثامن عشر تبلورت في لقاءات تبادل الخبرة والتلمذة الصناعية والمحاضرات العامة، والمناقشات، والمكتبات العامة، والمسارح والصحف.

٢) حركة تعليم الكبار في القرن التاسع عشر في النصف الأول من القرن التاسع عشر يذكر المؤرخون اثنتين من المؤسسات كان لهما انعكاسات عميقة في حركة تعليم الكبار، المؤسسة الأولى The Lower Institute في مدينة بوسطن، وكان يقدم فيها محاضرات عامة في الفلسفة والتاريخ الطبيعي والعلوم والآداب، والمؤسسة الثانية

Made With Pdf Office

Cooper Union في مدينة نيويورك عام ١٨٥٩م، وكانت تقدم برامج تعليمية مجانية عن الجانب التطبيقي للعلوم والآداب.

كما كانت هناك حركة أطلق عليها Lyceum ظهرت في عام ١٨٢٦، وكانت تركز على الجانب الثقافي من خلال الندوات أكثر من تركيزها على إتقان المهارات الحياتية. وقد استمرت هذه الحركة في جذب اهتمام الناس في القرن العشرين. وأثبتت إمكانية تشكيل نظام قومي متكامل يعتمد على جماعات محلية تعمل من أجل تعليم الكبار.

وقد ظهرت حركة شبيهة بالحركة السابقة، وكان مولدها على شاطئ شوتوكوا Chautauqua في نيويورك عام ١٨٧٤م. واتخذ المهتمون بمدارس الأحد هذا المكان كمركز لتدريب معلمي مدارس الأحد، وكان التدريب يركز على مجالات كالآداب والعلوم والفنون والدين. وأدى نجاح هذه الحركة إلى إنشاء تنظيمات مماثلة باسم "شوتوكوا" في مناطق مختلفة.

ومن أقوى ما تولد عن حركة "شوتوكوا" المدارس الصيفية التي كانت في أول أمرها نوعاً من الجامعات الشعبية التي تحاول جذب جماهير الكبار، وبعد نجاحها باتت جزءا من خطة العمل الجامعي في القرن العشرين، كما تولد عن حركة شوتوكوا مدارس التعليم بالمراسلة The correspondence School وكان ويليام رايني هاربر Wiliam Rainey Harper أحد المشاركين في إلقاء محاضرات بحيرة شوتوكوا، وعندما عين رئيساً لجامعة شيكاغو قبل مطلع القرن العشرين كان أول من جعل التعليم بالمراسلة جزءا من امتداد الخدمات التربوية الجامعية.

Made With Pdf Office

وفي الربع الأخير من القرن العشرين اقترح Hcrbert B. Adams العمل على امتداد الخدمات التربوية للجامعات الأمريكية، ومع نهاية القرن التاسع عشر بلغ عدد الجامعات التي تعمل وفق هذا النظام (٢٥) جامعة، وفي سياق ما تقدم برزت جهود التنظيمات الرئيسية وغير الرئيسية من بينها تنظيمات إنشائية، وتنظيمات للشباب وروابط صحية وترفيهية وأندية للخدمات ومنظمات لتعليم الآباء، ووكالات للتثقيف في الشئون العامة وغير ذلك.

٣) حركة تعليم الكبار في القرن العشرين: تبلورت الحركة في امتداد الخدمات التربوية الجامعية، وامتداد الخدمات للتنظيمات الأهلية، والمكتبات العامة.

وفي هذا الإطار بات الأمريكيون يفهمون تعليم الكبار على أنه ذلك التعليم الذي يقدم إلى الكبار غير المتفرغين للدراسة، ويمتد تعليم الكبار من أبسط المستويات المتمثلة في الدروس التي تقدم إلى الأميين، إلى تعليم الفنون الترويحية والفنون البيئية، والبرامج المهنية بجميع أنواعها حتى يصل إلى الحصول على درجات جامعية عليا (Sticht,2002).

نشأة حركة تعليم الكبار وتطورها في المملكة المتحدة:

إن حركة تعليم الكبار في إنجلترا تعتبر من أقدم الجهود المنتظمة في تعليم الجماهير، وقد بدأت بجهود خيرية تطوعية لتواجه أو لتحول دون النتائج السلبية لبداية حركة التصنيع، وقد تطورت إلى أن أصبحت جزءاً رئيسيا هاماً في كفاح وصراع الجماهير التي كانت مغلوبة على أمرها من أجل رفع مستوى حياتهم العامة المشتركة ولتأكد حقهم في المشاركة في المواطنة الكريمة. وظهرت حركات لتعليم الكبار في

Made With Pdf Office

آواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين منها الخدمات الجامعية الممتدة والرابطة التربوية للعمال(مرسي، ٢٠٠١،ص١٧٢).

وتضمن تعليم الكبار في المملكة المتحدة برامج متعددة ومتنوعة، أثرت حركة تعليم الكبار فيها، ويمكن تتبع تطورها التاريخي فيما يلي:

١) في القرن الثامن عشر: مع بزوغ الثورة الصناعية الأولى التي أدت إلى ميكنة العمل البدنين رؤي الاهتمام بتقديم دراسات للعمال لتمكينهم من أداء واجباتهم بكفاءة أعلى، دون إعطائهم فرصة للتحرك خارج وضعهم الاجتماعي. ومن هنا كان التركيز على العلوم بصفة خاصة.

وفي عام ١٧٦٠م بدأ أحد أساتذة جلاسجو بتنظيم صفوف مسائية لتدرس العلوم وتشجيع العمال على الالتحاق بها. وعندما جاء جورج بيرك Goerge Birkbeck ليشمل كرسي الفلسفة الطبيعية، وجد في بدء عمله أنه في حاجة إلى كثير من الأجهزة، ومن ثم تعرف إلى كثير من الحرفيين أو الميكانيكيين في مدينة جلاسجو، وقد لاحظ على هؤلاء الذكاء والرغبة في التعليم مما جعله يقرر تقديم برنامج من المحاضرات والتجارب في الميكانيكا. وقد نجحت هذه المحاضرات نجاحاً عظيماً، وعندما انتقل إلى لندن استمر خلفه في تقديم هذه المحاضرات، وفي عام ١٨٢٣م نظم أعضاء هذه المحاضرات ما سمي بمعهد الميكانيكيينMechanics Institute وحدد هدفه بالعمل على إعداد الحرفيين بالمبادئ العلمية للفنون والصناعات.

٢) في القرن التاسع عشر:

١/٢ عندما انتقل بيركبيك إلى لندن عام ١٨٠٤م، تزعم إنشاء معهد مشابه الميكانيكيين في عام ١٨٢٣م، وقوي هذه الحركة إصدار مجلة الميكانيكا، وظهور

Made With Pdf Office

بعض المطبوعات المهتمة بالتربية الشعبية والدعوة إلى الامتداد بها إلى ما وراء تثقيف الحرفيين، وكان يقدم في المعاهد محاضرات في الرياضيات وتطبيقاتها والعلوم الطبيعية والتجريبية والرسم، كما كانت تقدم مواد أدبية مثل اللغة الإنجليزية وبعض اللقاءات الأخرى، وعلى الرغم من انحراف هذه المعاهد عن الطريق الذي كان مرسوماً لها، فإن بعضها قد نجح في الاهتمام بالتعليم ذي الطابع الفني. وقد تطورت هذه المعاهد فيما بعد إلى مدارس وكليات.

٢/٢ وجدت صفوف دراسية مسائية تنظم في المدارس الأولية للذين لم تتهيأ لهم فرصة التعليم المدرسي، وقد اختفى هذا النوع من المدارس عندما تقرر مبدأ التعليم الإجباري في عام ١٨٧٠م.

٣/٢ حركة امتداد الخدمات التربوية الجامعية: بدأت الحركة على يد جيمس ستيورات James Stuart حيث تبنى فكرة لإنشاء جامعة متنقلة لإتاحة الفرص لتلقي تعليم رفيع، وقام بإلقاء عدة محاضرات في مناطق مختلفة تركت أثراً طيباً في نفوس الدارسين، مما دفع بعض الهيئات إلى طلب ستيورات كي يلقي محاضرات على مجموعات متنوعة من الدارسين، ونظراً لهذا النجاح بدأت كمبردج الحركة وانطلقت فيها من عام ١٩٧٣م، وتبعها جامعة لندن في عام ١٨٧٦م ثم أكسفورد عام ١٨٧٨م، واستمرت الحركة في الاتساع، وكان هدفها نشر الدراسات العقلية النظرية، فضلاً عن أن تحصيلها كان ذاتياً ذاتي، لقد نجحت الحركة في امتداد الخدمات الجامعية التربوية، ولكنها أخفقت في إيجاد صلة تربطها بالطبقات العاملة ومنظماتها.

Made With Pdf Office

٣) في القرن العشرين:

في عام ١٩٠٣م قام ماتسبريدج بإنشاء رابطة التربية العمالية Workers Educational Asscіation التي استطاعت أن تحدث شيئاً من التطوير في مفهوم تعليم الكبار، فلم يعد الأمر يقتصر على الاستماع إلى المحاضرات فقط، إذ خصص جزء من الوقت للمناقشات، وإعداد دراسات كان الهدف منها تعميق فهمهم وزيادة وعيهم بالعلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية.

ومهما يكن من أمر فإن حركة تعليم الكبار في بريطانيا قد انطلقت في القرن العشرين، ويعد عام ١٩٢٤م ذا أهمية بالغة حيث بدأ فيه ظهور اللوائح التي تنظيم تعليم الكبار في المجتمع البريطاني، والحقيقة أن تدريس الفنون العقلية النظرية للكبار أمر تضطلع به إحدى المنظمات الأربع الآتية:

- السلطات التربوية المحلية: تقدم برامج تعليمية في كليات التربية وكليات ومراكز تعليم الكبار.
- الهيئات المسئولة التي تعترف وزارة التربية بمسؤولياتها عن تقديم الدراسات العقلية وهي: الجامعات والتنظيمات القومية، والهيئات المشتركة.
- الجيش: القوات البحرية والبرية والجوية، بالتعاون مع رابطة التربية العمالية والتنظيمات التطوعية.
- الهيئات التطوعية: ويدخل فيها روابط متنوعة، والاتحادات العملية، ومنظمات الشباب والكنائس. (إبراهيم، ١٤٣٠، ص ٣٢-٣٥).

Made With Pdf Office

ثانياً: الغاية من تعليم الكبار

١-٢-الغاية من تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

تضمنت فلسفة التربية الإسلامية ومكوناتها وخصائصها موقفاً واضحاً حيال مبدأ تكافؤ الفرص، واستمرارية التربية، والتعلم مدى الحياة، وتعلم الكبار، والتطوير والتجديد المستمر للمعارف والمناهج وطرق التدريس ومؤسساته، وربطت كل ذلك بغاية سامية ونبيلة، هي تحقيق العبودية لله تعالى، وأعمار الأرض وفقاً للمنهج الإلهي، وقصداً لتوفير السعادة للمجتمع المسلم في الدنيا والفوز برضوان الله في الآخرة، وتحقيق الخيرية والشهود الحضاري .وتقع فكرة التعليم المستمر والتربية المستديمة من التربية الإسلامية في إطار قوله تعالى: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " (الحجر،٩٩)، أي :الموت، بمعنى طوال الحياة، والعبادة لا بد أن تقوم على العلم وفي إطار قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر("آل عمران،١١٠)، فهناك استمرارية في الإصلاح الفردي والاجتماعي تحقيقاً لوصف الخيرية، وذلك يتطلب الاستمرارية في العلم والازدياد من المعرفة المتجددة، وفي إطار قوله تعالى: "هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة" (الجمعة،٢). فلا بد من استمرارية عملية القراءة والتعليم والتزكية دون توقف تنفيذاً للمنهج القرآني في بناء الأمة وتربية أفرادها (خطاطبة،٢٠١٣، ص ٤٣٩-٤٠٠). فالحضارة الحقة هي التي تسعى لتحقيق الإنسانية، وما تقدمه من منفعة لها، والسعي نحو إسعادها سعادة حقيقية من جميع الجوانب (بويوزان ،٢٠١٥، ص٥٢)..

ويزخر كتاب الله العزيز بالآيات الكريمات التي جاءت في باب العلم وموضوعاته ومتعلقات، ومن النصوص القرآنية التي تضمنت إشارات واضحة لمبدأ التعليم المستمر،

Made With Pdf Office

قوله تعالى: "وقل رب زدني علما" (طه،١١٤) وهذه الآية ضمنت إشارة واضحة إلى مشروعية الازدياد من العلم، والاستمرار في طلبه. وأن المتعلم مهما بلغ من درجة العلم، فعليه أن يسعى دائما إلى المزيد. فلا توقف في نسبة تحصيل العلوم والمعارف، ولا حد لانقطاعها، طالما أن المتعلم قادرا على المضي قدما في نيل المزيد من المعرفة. وقد جاء في الحديث الشريف طلب الازدياد من العلوم، تطبيقا لما ورد في الآية وتأكيدا لها، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال:" اللهم أنفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما" وهذا تعليم من النبي صل الله عليه وسلم لأمته عامة، وللمتعلمين خاصة أن يطلبوا دائما المزيد من العلم، وأن يسألوا الله تعالى التوفيق لذلك، وبذلك يكون النص القرآني "وقل ربّ زدني علما "(والمؤكد بالحديث الشريف) وزدني علما، ومما سبق يتضح أنه تضمّن تقريراً واضحاً لمبدأ التعليم المستمر، ودعوة بيّنة إلى جعل الاستزادة من المعرفة و تراكمها فكرة أساسية في المنظور التربوي للعلم وللمعرفة.

٢-٢-الغاية من تعليم الكبار في الحضارة الغربية:

تتمثل الغاية من الحضارة الغربية تحقيق الجوانب المادية؛ فلم يجد فيها الأنسان إلا الزيف والسفاهة والإلحاد، بعيدة كل البعد عن الإنسانية والسعادة، فما حدث من انتشار كرونا في الغرب وبسبب الطمع المادي لم تتخذ الدول الأوربية وأمريكا احترازاتها في منع انتشاره؛ كل ذلك بسبب تهاونها وخوفها على الاقتصاد، بعكس ما قامت به بعض الدول الإسلامية التي تنبهت منذ البداية ووضعت الاحترازات لمنع انتشار الكروانا وعطلت جميع المصالح الاقتصادية والتعليمية وغيرها، وأهتمت بقطاع الصحة والأمن للاستعدادات اللازمة لمكافحة الكرونا.

Made With Pdf Office

ويقول الكاتب النورسي أن الحضارة الغربية تعاكس تماماً نظرة الإسلام للعديد من المفاهيم؛ مثل الزكاة والإرث والحجاب، ودعا إلى حضارة مؤمنة تضمن السعادة الحقيقة للبشرية، حضارة تشربت لذة الإيمان وتغذت منه، فتستمتع بحياتها الدنيوية، كما تستمتع بحياتها الأخروية (بويوزان ،٢٠١٥، ص٥٠)، كما أن شعار الحضارة الغربية هو: أفعل ما تشاء وأقرأ ما تشاء وشاهد ما تشاء، المهم لديهم هو الصناعية والتصدير وميزان المدفوعات. أما الأخلاق فلا يكترثون بها، الأمن النفسي للفرد لا يهم، المن الاجتماعي لا يسألون عنه، الجرائم التي تعم البلاد لا تعنيهم، عدد حالات الجنون والانتحار والانهيار العصبي لا تلفت انتباههم، نتائج الحرية الزائدة والإباحية، الأسرة المنهارة لديهم، والطلاق وتشرد الأطفال، المهم فقط فرص العمل والاستيراد بأرخص الأسعار من دول العالم الثالث والتصدير لها بأعلى الأسعار (الخولي،١٩٩٣، ص١٠).

لقد خالفت الحضارة الغربية المعاصرة المسيرة الإنسانية، واعتمدت على ما يُنعَتُ بـ"الفصام النكد" بين الدين والعلم، أو ما يصطلح عليه باسم " العلمانية أو اللاتينية "، مما صبغ مجتمعاتها باللاأخلاقية، وظهور "التشكك الأخلاقي" الذي هو ناتج من نواتج العلمانية، فباتوا يفسرون كل تقدم علمي ومجتمعي بأنه ثمرة إقصاء الدين، مما مهَّد السبيل لسيطرة الاعتبارات الدنيوية على الدينية ووضعوا كل دنيوي في وضع مضاد لما هو مقدس وديني، وهذه الضدية أسهمت في اضمحلال الأخلاق وسيطرة الفلسفات المادية على الحضارة برُمته (الندوي،١٣٨٤،ص٢٣٠-٢٤٢)، وهو ما سماه البعض "بطلان الحاسة الدينية"، وهي حاسة تضاف لحواس الإنسان الخمس، وتجعل الإنسان في بحث دائم عن الله وقيم الدين في أعماقه، وأيضًا طغيان المادية والمعدة والركض

Made With Pdf Office

لإشباع الشهوات على حساب المعتقدات، واعتبار هذا هدفًا إنسانيًّا ومجتمعيًّا أساسيًّا (إيريس،١٩٦٦، ص٤١-٤٢).

ثالثاً: رواد تعليم الكبار

١-٣- رواد تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

وما ترويه كتب السير عما فعله الرسول ρ وخلفاؤه الراشدون المهديون من بعده بهذا الخصوص، لا يشذ عن هذه القاعدة، حيث يروى أن الرسول ρ أبقى معاذ بن جبل رضي الله عنه بمكة بعد الفتح ليفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن، ثم بعثه قاضياً إلى اليمن، ليعلم الناس القرآن. كذلك يحكى عنه ρ أنه بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران، بناءً على طلب وفدهم أن يبعث من يعلمهم السنة والإسلام، ثم أرسل إليهم عمرو بن حزم بعده وهو أبن سبع عشرة سنة، ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن.

وقد توقفت مثل هذه البعثات في عهد أبي بكر رضي الله عنه خوفاً على هؤلاء المبعوثين، بسبب حروب الردة وانعدام الأمن في الجزيرة العربية بوصفهم ثروة بشرية يجب المحافظة عليها. فلما كان عهد عمر رضي الله عنه وكان الاستقرار عادت الحياة إلى هذه البعثات من جديد، وكان رضي الله عنه يختار عماله على الأمصار على أساس قدرتهم على أن يكونوا معلمين كذلك، وبذلك أرسي في الحياة الإسلامية العامة مبدأ التعليم والتعلم (عبود، ٢٠٠٧، ص ١٣٣-١٣٤).

لقد عبّر علماء الأمة وفقهاؤها ومربوها عن وعيهم الكامل بفكرة التعليم المستمر أو الدائم وعن مختلف أوجهها ومكوّناتها من خلال آرائهم ومواقفهم، فهذا ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم لينهل من علوم ومعارف المدرسة

Made With Pdf Office

النبوية، ثم لما ينهي مطلبه التعليمي هذا، إذا به يقول للنبي صل الله عليه وسلم" :آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي. فعمل رضي الله عنه على نقل العلوم التي تعلمها إلى مختلف شرائح مجتمعه، ولم يقف به عند نفسه .وقد حرص الصحابة على التعلم حتى في كبر سنهم. واللافت للنظر نص البخاري رحمه الله على تعليم الكبار بقوله تحت باب الاغتباط في العلم والحكمة :وقد تعلم أصحاب النبي صل الله عليه وسلم في كبر سنهم. فهذا نص في غاية الوضوح على مبدأ" تعليم الكبار. والذي يشكل الفكرة الأساسية في انطلاقة منهجية التعليم المستمر في عصرنا الحاضر. ويدعو عمر رضي الله عنه إلى ضرورة استغلال الأوقات المناسبة والفراغ الممكن في التعلم، ويوجه كل فرد في المجتمع إلى ضرورة أن ينال قسطا من العلم قبل أن يدخل عالم المناصب أو الوظائف أو المسؤوليات وذلك بقوله رضي الله عنه: "تعلموا قبل أن تسودوا". ليقرر أن عملية التعلم ليست مقتصرة على طلبة العلم بل تعم جميع مفاصل المجتمع كما يجد الناظر في سيرة عمر رضي الله عنه وفقهه لأهمية التعليم مكانته ودوره في حياة الإنسان بشكل عام، فيقدّم رضي الله عنه تطبيقا عمليا لفكرة التعليم المستمر، وذلك حينما يقول: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة –وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. وقد بوب البخاري لهذه الرواية بقوله" :باب التناوب في العلم ."فهذا موقف تطبيقي يؤكد عملية التعليم المستمر لدى الصحابة تحت أقسى الظروف، وهي ظروف العمل والزراعة والبحث عن لقمة العيش .وفي هذا الموقف تقديم حل لمعوّق العمل ومشكلة الشغل وكيفية التغلب عليها، بطريق التناوب بين المجموعة العاملة في طلب

Made With Pdf Office

العلم والتفرغ له بالدور، ثم في تعليم بعضهم بعضا، ونقل كل جديد معرفي يحصل عليه أحد أفراد المجموعة إلى الآخر. (خطاطبة،٢٠١٣، ص٤٣٧)

ولقد اشتهر كثير من العلماء المسلمين الذين حثوا على التعليم والمواظبة عليه أكدوا على استمرارية التعليم ومنهم الزرنوجي والغزالي والقابسي والبغدادي وابن حنبل وابن قتيبة وابن رشد وابن الجوزي رحمهم الله، حيث توصل القابسي القيرواني باجتهاد فقهي وأسلوب منطقي إلى أن التعليم مسؤولية اجتماعية فتعليم أبناء المسلمين أغنياء كانوا أو فقراء واجب إجباري وتطرق إلى التزام المجتمع بإلزامية التعليم، ويرى أن عملية التعليم مستمرة حتى بعد التخرج من الكتاب، وإذا كان المعلم مقيدا بتعليم الناشئة المواضيع الأساسية فإن المتعلم غير مقيد بمواضيع معينة، بل عليه واجب الاكتساب المستمر والمتجدد. وتتجلى دعوة القابسي إلى التعلم المتواصل بالحاجة للمواظبة والاستمرار وكان يؤكد على التعليم بالتعزيز والتحفيز والتغذية الراجعة.

وفسر الغزالي الحديث " طلب العلم فريضة على كل مسلم " أنه علم المعاملة التي كلف العاقل البالغ العمل به، وفرض الكفاية للعلوم التي تستوجب معرفتها للاستزادة في معرفة الدين كاللغة والنحو والحساب...، كما يرى أن العلم يجب أن يقترن بالعمل، وهذا ما يتفق عليه جون ديوي الذي نادى بالنفعية وقامت عليه الفلسفة البرجماتية.

وذكر ابن رشد أنه كما يجب على المتعلم التعلم فإنه يجب على العالم التعليم مستندا على قوله تعالى:(ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (الصالحي,١٩٧٩م، ص١٣-١٤)

ويعد برهان الإسلام الزرنوجي أول من بشر بالتعلم الذاتي في كتابه "تعليم المتعلم طريق التعلم" وهذا ما نادى به ايدجار فور وطالب به أعضاء اللجنة الدولية للنهوض

Made With Pdf Office

بالتربية " أن نعلم الفرد كيف يتعلم Learn him How to Learn , ومما ذكر الزرنوجي أنه ليس لصحيح البدن والعقل عذر في طلب العلم مهما كان عمره , وتكمن أهمية الكتاب في أنه أول كتاب تحدث عن طرائق التدريس وعن التعلم الذاتي وآدابه وأساليبه ويجمع بين النظرية التربوية التطبيقية وبين الرؤية التعبدية الشرعية بصورة متجانسة مندمجة تجسد التكامل الحقيقي بين الجانبين الإيماني والسلوكي والتأكيد على عدم إضاعة الوقت واستثماره والإفادة منه في تلقي العلوم وطلبها.

وقد قسم الزرنوجي العلوم حسب الاحتياج إليها والغاية منها الى ثلاثة اقسام رئيسية هي:

- علم ما يقع على نفسه في جميع الأحوال وهو العلم الضروري الذي لا تستقيم حياة الفرد الدينية والدنيوية إلا به فهذا واجب – شرعا تعلمه على كل فرد بعينه.
- علم ما يقع في بعض الأحايين وهي العلوم التي يحتاج إليها الفرد احيانا سواء في حياته العامة او أموره الشرعية مثل علم الطب والإفتاء والصناعة وحماية البلد وحكم تعلم هذه العلوم فرض كفاية على المجتمع.
- القسم الثالث هو ما عبر عنه الأمام الزرنوجي بالعلم المرض وقد افتى بحرمة تعلمه لأنه يضر ولا ينفع مثل السحر والتنجيم وما شابهها.

ولقد أكد الزرنوجي على تعظيم أهداف طلب العلم حيث لا ينبغي أن يكون طالب العلم لأجل مصالح مادية فقط بل يجب أن يكرم العلم ويطلب لذاته، ولذا أكد الإمام الزرنوجي – رحمه الله – على أهمية أن يمتلك طالب العلم مهنة أو مهارة يتكسب منها وتغنيه عن الحاجة الى الناس وبناء على هذا المبدأ فان طالب العلم لا يستخدم علمه

Made With Pdf Office

إلا فيما تحققت مصلحته سواء على مستوى الفرد أو المجتمع (عبدالدائم.١٩٨٤، ص٢٤١-٢٤٢).

وروى ابن قتيبة في عيون الأخبار " لايزال المرء عالما ما طلب العلم فإن ظن أنه علم فقد جهل"، وذكر ابن الجوزي أن الرجل إذا لقي من هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة وإذا لقي من هو مثله دارسه وتعلم منه وإذا لقي من هو دونه تواضع وعلمه (عبد الجواد. ١٩٩٣.ص٢٩).

٢-٣- رواد تعليم الكبار في الحضارة الغربية:

يؤكد ايدجار فور أن التعليم إن لم يكن مستمرا فإنه لا يمكن أن يتحمل الصعاب والعقبات، وذكر أن التعليم المستمر هو المبدأ الذي يوجه حركة التجديد التربوي (عبد الجواد. ١٩٩٣م.ص١٥-١٦).

وقد ناقش مربي الكبار البريطاني بازيل يكسلي عام ١٩٢٩م مفهوم التعليم المستمر في كتابه Lifelong Educationالتعليم مدى الحياة، وهذا ما كان عليه بالفعل أحمد بن حنبل الذي ما زال يطلب العلم حتى مات، وقد رأي على كبر سنه وفي يده دواة وكاغد يكتب به وهو يركض بين الشيوخ، فقيل له: يا أحمد هذا على كبر سنك؟ فقال: (نعم. مع المحبرة إلى المقبرة)، أما جون ديوي فهو يرى أن التعليم المستمر هو " التعلم الحقيقي الذي يأتي بعد أن نترك المدرسة، ولا يوجد مبرر لتوقفه قبل الموت" (مرسي،٢٠٠١).

وترجع بعض الأدبيات التربوية المعاصرة نشأة الحديث للتعليم المستمر أو بالتربية مدى الحياة إلى العام ١٩١٩م وذلك بعد انتقال اثر الثقافة الإسلامية الى أوروبا حيث تأثر كثير من العلماء بأفكار العلماء المسلمون وجاراهم كثير من العلماء المشهورين

Made With Pdf Office

أمثال فكومنيوس (١٩٥٠-١٦٧٠) الذي طالب بتربية مستمرة متكاملة لكل الناس والذي حدده في كتابة فن التعليم الأكبر والذي ناد فيه بتربية جماهيرية عامة لكل الفئات المهنية والطبقات الاجتماعية بحيث لا يفرق فيها بين رجل وامرأة وغني وفقير، كذلك يتحدث جون ديوي في فلسفته التربوية عن الاستمرارية وأهمية الخبرة الحية والعلمية في التعليم ولكن يعتبر الفيلسوف باشلارد (١٨٨٤- ١٩٦٢) هو اقرب من فكرة التربية المستمرة بشكل مباشر في العصر الحديث فهو يرى أن الفكر العلمي ينمو تربويا بصفة مستمرة وأن الإنسان الذي يعطي نفسة للثقافة العلمية هو متعلم دائم (الرواف، ٢٠٠٢م، ص ١٥٨) حيث قال (أن الثقافة التي تنتهي عند مدرسة الطفولة أو الشباب تعد جامدة وتبتعد عن أن تكون عملية ونامية وأن الفكر العلمي ينمو تربويا بصفه مستمرة وان الإنسان الذي يمنح نفسه للثقافة هو متعلم نام .

وقد تحدد مفهوم التعليم المستمر بشكل أكثر وضوحا من خلال خطة آران المقدمة إلى لجنة إصلاح التعليم الفرنسي في عام ١٩٥٥م التي أكدت على تبني صيغة التربية المستمرة بشكل رسمي إلى الاحتفاظ بمكتسبات التعليم النظامي ومواصلة الأنشطة التربوية لتنمية قدرات الشباب العقلية، وذلك من خلال تجديد معافهم (لال ،٢٠٠٣م، ص١٧٦-١٧٧).

واتفق ايدجار فور مؤلف كتاب " تعليم الفرد كيف يتعلم Learn him How to Learn, في ضرورة استمرارية التعليم مع برهان الإسلام الزرنوجي والذي أول من بشر بالتعلم الذاتي في كتابه "تعليم المتعلم طريق التعلم"، ويؤكد ديوي وهو من أبرز رواد التعليم المستمر في العصر الحديث أن التعليم الحقيقي يأتي بعد التخرج من المدرسة ويجب أن يستمر طيلة حياة الفرد وان التربية مستمرة لا تتوقف عند سن معين وأن

Made With Pdf Office

طريقة التدريس الملائمة هي التي تعتمد على الحوار وحل المشكلات والتعلم الذاتي (ديورات، ١٩٨٨م، ص٦٢٤- ٦٢٩).

رابعاً: مؤسسات تعليم الكبار

١-٤- مؤسسات تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية:

رصد الباحثون في مسيرة التعليم الإسلامية، وتطور حضارة الإسلام مؤسسات التعليم وهي تعبّر عن وسائل التعليم المستمر، فمن ذلك -ويُكتفى هنا بالإشارة العامة كدليل على صحة الفكرة وواقعتها -أن مراكز التعليم وأماكنه تنوعت تنوعاً كبيرا، فشملت :المساجد، والكتاب، والقصور، وحوانيت الوراقين، ومنازل العلماء، والمدارس، ودور الحكمة، والأربطة، والبيمارستان والمستشفيات، والمجالس الأدبية (العمايرة،١٤٢١، ص١٤٣-٥٥١). وكانت مركز التعليم لا تقتصر على الحضر والأمصار الجديدة، بل كانت تمتد إلى البوادي، وغير ذلك من المراكز التي جعلت المجتمع مرافقه الخاصة والعامة بمثابة مكتبات عامة وخاصة. وقد رصد أحد الباحثين ما سمّاه" مؤسسات التعليم الطبيعي والكوني فذكر منها :المساجد والمكتبات المتخصصة للدراسات العليا سواء المؤسسة من قبل الأمراء أم الأفراد أم العلماء، وحوانيت الوراقين والمدارس والربط والحدائق والمراصد العلمية وغير ذلك، مشيرا إلى التنوع في طرق التعليم المستمر وأساليبه، مثل: الملاحظة والممارسة والملازمة للأستاذ، وطريقة المحاضرة والإملاء والمراسلات العلمية والمناظرات وغير ذلك. والذي يراجع مصادر التراث الإسلامي والحضاري، يقف على ثراء وتنوع واضح في مصادر التعليم المستمر وأساليبه ووسائله، التي تؤكد بدورها الشهود الحضاري لفكرة التعليم المستمر والتربية المجتمعية المستديمة، حيث الانطلاق في التعلم والتعليم بلا توقف، والانتشار

Made With Pdf Office

لمؤسساته في مختلف خواضن المجتمع المسلم، والتطوير والتجديد المستمر له، والوصول إلى شرائح المجتمع كلها وانتشار مؤسساته دون استثناء.

١) **المسجد:** استخدم للعبادة والدراسة، والمساجد كانت مفتوحة لكل راغب في التعليم والطلاب الذين يترددون على المساجد ويمكن تقسيمهم إلى قسمين: طلاب منتظمون ينقطعون للدراسة بالمسجد، ويستمرون فيها بعد حصولهم على الإجازة "الشهادة" من الشيخ المتخصص، طلاب يدرسون لبعض الوقت يستمعون لبعض الدروس دون التقيد بمنهج معين.

٢) **قصور الأثرياء والأمراء:** حيث عقدت فيها الندوات ودارت فيها المناقشات والمساجلات والمناظرات، وخصص في بعضها أماكن لسكن العلماء ودراستهم.

٣) **حوانيت الوراقين:** لم يقتصر دورها على البيع والشراء، بل كانت أمكنة يجتمع فيها الأدباء والعلماء، وتتحول مناقشتهم إلى ندوات ومناظرات، ومن الجدير بالذكر أن الجاحظ كان يبيت فيها للقراءة والاطلاع.

٤) **منازل العلماء:** اتخذ رسول الله صل الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم مكاناً يعلم فيه المسلمين تعاليم ومبادئ الدين الجديد، كما كان منزل أبن سينا ملتقى لمحبي العلم، وأيضا كان الإمام الغزالي يستقبل طلابه بداره.

٥) الكتاب أو الكتاتيب، والخوانق والزوايا والرباطات، ودور الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة، والمكتبات والمدارس والمعاهد.

٦) **دور الحكمة:** مؤسسة ثقافية تسعى إلى نشر العلوم والآداب، وكان يقصدها الطلاب المتخصصون، وأيضاً الطلاب الراغبون في الاطلاع والنسخ.

Made With Pdf Office

٧) **الجمعيات والمجالس العلمية والأدبية:** ازدهرت في القرن الثاني الهجري وأشرف عليها بعض العلماء، وكانوا يتدارسون فيها العلوم والآداب، ويسمح فيها بالحضور لمن يشاء.

٨) **البيمارستان:** لم تكن أماكن للتطبيب والتمريض فقط، وإنما كانت أيضاً مكاناً لتعليم طلاب الطب الأمراض وطرق معالجتها، وكانت مكاناً للدراسة النظرية والعملية. وألحق ببعض البيمارستان مكتبة، وقد بلغ عدد الكتب في بيمارستان قلاون بالقاهرة حوالي مائة ألف مجلد.

في سياق ما تقدم يمكن القول إن تعليم الكبار في المؤسسات سابقة الذكر قد اتسم بعدة خصائص نذكرها:

١- التعليم مدى الحياة: فالعلم في الإسلام لا تضيع فرصته بسبب السن، ولا يرتبط بسن معينة، فالإنسان قابل للتعلم مدى الحياة.

٢- التعليم مفتوح: لم يكن من الضروري أن يلتحق طالب العلم بمدرسة أو معهد نظامي، فحلقات الدراسة ومجالس العلم على مختلف مستوياتها وفي مختلف المجالات. ولم يكن من الضروري أن يدرس الطالب مواد معينة أو كتبا بعينها في مجال خاص واتسع مفهوم انفتاح التعليم ليتضمن عدم التفرقة بين الدارسين على أساس الجنس أو اللون أو العقيدة أو الثروة. فكانت مجالس العلم أو حلقة الدرس في المسجد عالماً متسعاً يضم طلاباً من الشرق والغرب.

٣- حرية الأساتذة: كان للأساتذة حرية العمل – طوال العمر – ما داموا يحتفظون بقواهم العقلية وقدراتهم الحركية، والتدريس عندهم تعليم وتعلم، وكانت أساليب تدريسهم تنمية لعملهم وتطويراً لمهنتهم وثقافتهم.

Made With Pdf Office

٤- الارتحال في طلب العلم: كانت القاعدة في التعليم أن يرحل المتعلم وينتقل من بلد إلى بلد من بلدان العالم الإسلامي، كل هذا طلباً للعلم، وكان المبدأ وراء ذلك بأن المعرفة لا حدود لها، وأن الارتحال يعد أحد الوسائل الرئيسة لتحصيل المعرفة.

٥- المساواة بين الذكر والأنثى في الحصول على المعرفة: فالإسلام قرر وجوب طلب العلم على النساء والرجال، بل كانت بعض النساء يتتلمذن على يد بعض علماء المسلمين، وكان هناك من تتلمذ على النساء من رجال المسلمين الأوائل. (إبراهيم، ١٤٣٠هـ، ص ٣٠-٣١).

لقد كانت مسئولية الدولة عن التعليم محدودة في البدايات، فقد حرص الرسول ρ منذ بداية الرسالة على تعليم أصحابه تعاليم دينهم، وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مدرسة للكبار في تاريخ الإسلام. وبعد أن تمت بيعة العقبة الكبرى في السنة الثانية عشرة من بداء عهد النبوة (سنة ٦٢١م)، أرسل الرسول مع النفر الذين بايعوه من أهل يثرب مصعب بن عمير، ليعلم المسلمين في المدينة، ويفقههم في أمور دينهم، وبعد هجرته ρ إليها، أنشأ مسجد قباء وصلى وراح يجتمع مع المسلمين فيه، فهو أول مسجد أسس على التقوى بعد الهجرة. (عبود، ٢٠٠٧، ص ١٣١)

ولقد ظلت مسئولية الدولة عن لتعليم عموماً، وعن تعليم الكبار على وجه الخصوص محدودة طوال العهود التالية لهذا العهد الأول، إلى أن بدأت تظهر الدولة للوجود في حياة هذا التعليم بدءاً من أواخر القرن الثاني الهجري (التاسع الميلادي)، كشريك في العمل التعليمي، ولتكملة نقص تراه فيه، كإنشاء الخليفة المأمون لدار الحكمة في بغداد سنة ١٩٨هـ (٨١٣م). أو لوقف خلل ما تراه يحدث فيه، كما فعل الوزير السلجوقي نظام الملك، حين أنشأ المدرسة النظامية -نسبة إليه- في بغداد سنة

Made With Pdf Office

٤٥٨هـ (١٠٦م) مدرسة سنية يقاوم – بها من خلال – انتشار المذهب الشيعي وتغلغله وتغلغل رؤاه في التعليم في العراق، وهو النظام الذي نشره نظام الملك في سائر أنحاء العراق، وانتقل منها إلى الشام عام ٤٩١هـ (١٠٩٧م)، ثم نقله صلاح الدين الأيوبي إلى مصر منذ عام ٥٦٧هـ (١١٧١م)، لينتقل بعد حوالي قرن من الزمان إلى شمال أفريقيا.

وقد تطورت هذه المدارس –في التجربة الإسلامية– بتطور الحياة وتعقدها، حتى أصبحت المدارس كالمساجد تقام فيها الشعائر الدينية، تماماً كما ظلت الدروس تلقى في المساجد، وتنوعت هذه المدارس بحسب وثيقة الوقف على لمدرسة، وكان المدرس على وجه العموم هو الذي يوضع على رأس جهاز العاملين في المدرسة، وكان في كثير من المدارس في العصر المملوكي على سبيل المثال نواب تدريس ومعيدون وخزنة ونظار (بغير المعنى المعاصر للنظارة)، وكتبة وجبأة وبوابون وفراشون وكتاب غيبة (لتسجيل الحضور والغياب) ومؤدبو أطفال. وكان عدد موظفي المدرسة يفوق أحياناً عدد الطلبة فيها. وكانت وظائف المدرسة إجمالاً على نوعين رئيسين. وظائف علمية (أكاديمية)، ووظائف إدارية، وكانت أهم الوظائف الأكاديمية –بطبيعة الحال– هي وظيفة (شيخ المدرسة). وكانت وثيقة الوقف بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية التي تضم الأسس التربوية للتعليم، والشروط التي يجب أن تتوافر في لقائمين بالتدريس، ومواعيد الدراسة، وغيرها من التنظيمات المالية والإدارية. وقد شهد العصر المملوكي – في بعض الأحيان– نوعاً من الرقابة الشعبية على القائمين بالتعليم والمناصب العلمية للكبار والصغار جميعاً. (عبود، ٢٠٠٧، ص ١٣١–١٣٢)

والإسلام في امتداداته وانتشار الرسالة في أرجاء العالم المعمور، نقل معه المعرفة والعلم، وأصبح الإسلام هو دين العلم والعلماء، فكما هو الحال في الشرق نجد كذلك

Made With Pdf Office

الحال في المغرب. فقد وصلت الثقافة العربية واللغة العربية مع الإسلام، وتأسست مراكز هامة في شمال أفريقيا منها جامع الزيتونة بتونس، الذي تأسس عام (٨٠هـ) وبدأت الدراسة به في عام (١٤١هـ). "وجامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى عام (٢٥٥هـ)". وقد ظل هذان الجامعان منذ أنشائهما يشعان بالعلم والمعرفة، ويستقبلان الطلاب والدعاة الإسلاميين من مختلف أرجاء شمال أفريقيا وغربها، فيزودانهم بالعلوم الإسلامية المختلفة، واللغة العربية، وبالقرآن وقراءاته وتفاسيره، وبالحديث ورواياته وفهمه (الصافي،١٩٨٩، ص٢٣).

انتشار الواسع النطاق هو ما يعرف (بالزوايا) "وهي مراكز لمشايخ الصوفية ولكنها إلى جانب كونها مراكز للتصوف والعبادة تعتبر مراكز للتعليم الإسلامي وملاجئ للفقراء ومأوي للمسافرين". ومن المعروف أن الأصل في الزوايا هو (الرابطات) وهي "الثغور التي يرابط فيها المجاهدون المسلمون لحراسة حدود الدولة الإسلامية المترامية الأطراف" وتعتبر كذلك مراكز للجهاد الإسلامي في سبيل نشر دعوة الإسلام. وأهم أعمالها في أوقات السلم هو تعليم الصغار والكبار والتفقه في الدين وعلوم اللغة". وقد انتشرت هذه الزوايا انتشاراً كبيراً في مناطق المغرب العربي، ففي موريتانيا "أدى التطور المذهل الذي شهدته (المحاضر) والتنافس الإيجابي القائم بينها بغية تأدية رسالتها على أكمل وجه، إلى مقاربة محو الأمية، لأن العرف الاجتماعي يقضي بضرورة الانتساب إلى المحظرة ويعتبر التخلف عنها سبة وعار (الصافي، ١٩٨٩، ص ٢٣-٢٧).

Made With Pdf Office

٢-٤- مؤسسات تعليم الكبار في الحضارة الغربية:

المؤسسات والجمعيات والجامعات في أوروبا:

في عام ١٨٢٤ أسس جورج بيبرك George Bebark أول معهد لتعليم الميكانيكا في بريطانيا مما أتاح الفرصة للموظفين وغيرهم من البريطانيين للانتظام في هذا المجال. بعد انقطاع دام أعواماً طويلة عن ميدان التعليم.

وابتداءً من عام ١٨٢٥ شهدت بريطانيا حركة كبيرة في الاهتمام بتعليم الكبار فأنشأت العديد من جامعاتها المعروفة ببعض المجالات المساعدة لتحقيق أمثال هذه البرامج التي جاءت من خلال تجربة الإرشاد الجامعي. وقد افتتحت جامعات لندن، ودورهام، وليدز، وبرستول، ومانشستر، وأكسفورد، وكمبردج، وليدز، وشفيلد أقساماً وجمعيات علمية متخصصة هدفها توسيع دائرة المعارف التطبيقية للمواطنين.

في عام ١٩٠١ بدأت حركة تعليم الكبار تنهض بشكل لم تعهده بريطانيا وأوروبا من قبل فظهرت مؤسسات جديدة، ومعاهد متخصصة، واتحادات تمثل جانباً مهماً في تعليم العمال، وفي عام ١٩٢٠ ظهرت الجامعات الريفية، ومعاهد الدراسات الإضافية معتمدة على نشاطها وسياستها تبعاً للجامعات البريطانية الأساسية فقدمت مختلف أنواع الدراسات لتعليم الكبار وكانت مساهمة حقيقة لإعداد جانب مهم من القوى البشرية في القطاعات الزراعية والصناعية والخدمات.

وفي نفس العام امتدت حركة تعليم الكبار في أغلب الدول الأوروبية فنشأت فيها إلى جانب الجامعات:

- المؤسسات الخاصة.
- المدارس الشعبية العليا.

Made With Pdf Office

- المعاهد العمالية الثقافية.
- المكتبات المتجولة.
- الحلقات الدراسية الجامعية.

وقد ظهرت في ألمانيا الغربية المؤسسات القومية لتحقيق إثبات الشعب في زيادة ثقافته ودراساته وخبراته، كما انتشرت المدارس الشعبية في الدول الإسكندنافية وخاصة في السويد والدانمرك واتسمت حركة تعليم الكبار في ألمانيا الشرقية ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا بالتركيز على الوعي والمستوى للفلاحين والعمال، فأنشأت:

- أكاديميات الفرحين.
- الفصول الدراسية المسائية.
- الجامعات الشعبية. (لال، ١٤٠٩، ص ١٣-١٤).

خامساً: تمويل تعليم الكبار

١-٥- تمويل تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية

كان التمويل يعتمد على المبادرات الفردية أساساً، بما في ذلك المبادرات التي قام بها الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء، فلم يبادر واحد من هؤلاء بإنشاء مدرسة أو أية مؤسسة تعليمية بصفته خليفة أو سلطاناً أو وزيراً، وإنما باسمه وبمبادرته الفردية ومن ماله الخاص حسبه لله تعالى. ومبدأ الاحتساب مما فتح الباب واسعاً للاحتساب، فكانت الأوقاف التي أوقفها الخيرون على أعمال الخير، وكان الاحتساب في التعليم، باباً واسعاً لذلك منذئذ وحتى اليوم، وخاصة في البلاد ذات الطابع الخاص، كمكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس، التي أصبحت بفضل المسجد الأقصى وبسبب ما انتشر فيها من مدارس محط رحال الكثيرين من العلماء والطلبة من مختلف أنحاء العالم

Made With Pdf Office

الإسلامي، حتى غدت القدس بفضل وجود المدارس فيها بهذه الكثرة مركزاً علمياً وتعليمياً مرموقاً في العالم الإسلامي كله، كان له أثره على مختلف الحواضر الإسلامية (عبود، ٢٠٠٧، ص ١٣٣-١٣٤)، كما أن التعليم الإسلامي يمول نفسه ذاتيا، فالمعلم كان يرى أن عمله هو نفسه عبادة، وكان المجتمع مع ذلك يقوم بالأنفاق عليه، بأساليب مختلفة، بل أن هناك نظما كانت قائمة إلى عهد قريب، في بعض الدول العربية ، حيث كان المشايخ الذين يشرفون على هذه المدارس القرآنية المتوارثة أبا عن جد والتي هي في الوقت ذاته جامعة للدراسات الإسلامية، يقومون على إيواء الطلبة يأتون من كل فج، وأحيانا من بلاد إسلامية أخرى، وعلى مقابلة نفقات حياتهم اليومية، وكان هؤلاء الطلبة يتولون الزراعة في موسم الأمطار، ويخزنون ما يحصدون، ينفقون منه على أنفسهم وعلى ضيوفهم وزائريهم، بالاستعانة بما يقدمه المجتمع المحلي من عون دائم، حقا مفروضا للتعليم، من إنتاجه، ومن زكاة أمواله (صابر،١٩٨٨، ص١٢).

٢-٥- تمويل تعليم الكبار في الحضارة الغربية:

يعتبر التمويل هو المغذي للعملية التعليمية النظامي وغير النظامي، وتعاني أغلب دول العالم من نقص في التمويل، على الرغم من التأكيد على أهمية البرامج، ليشمل الدول المتقدمة والنامية، وإن المتتبع لمؤتمرات تعليم الكبار العالمية يعلم أن اللجنة المنظمة لمؤتمر طوكيو ١٩٧٩م باليابان؛ رأت أن الدول تبخل على تعليم الكبار وتعطيه بواقي التعليم النظامي، وكان نتيجة هذا التعسر المالي أن أوصت المؤتمرات الدولية ومنها طوكيو ١٩٧٩م، ومؤتمر باريس ١٩٨٥م بتدبير الموارد المالية لأغراض التنمية، كما أوصى مؤتمر هامبورج ١٩٩٧م برصد ميزانية خاصة لتمويل تعليم الكبار على غرار أنواع التعليم الأخرى (عبد اللطيف، ١٩٩٨).

Made With Pdf Office

ويرجع ضعف الأنفاق على برامج تعليم الكبار في الدول المتقدمة إلى السباب التالية:

١- ضعف إحساس صناع القرار بأهمية تعليم الكبار مقارنة بالتعليم النظامي.

٢- اعتبار نفقات تعليم الكبار في غالب الحيان نفقات اختيارية.

٣- طبيعة برامج تعليم الكبار ذاتها، حيث تتطلب تضامن جهود هيئات عديدة حكومية وغير حكومية، مما يؤدي إلى ضعف التنسيق بينها واضطراب في عمليات التمويل (نصار،٢٠٠٧، ص ٥٦).

ويجري تعويض النقص في تمويل برامج تعليم الكبار عن طريق استقطاب التمويل من المشروعات الصناعية والتجارية، ومن الكبار أنفسهم، ومن وحدات الحكم المحلي (نصار،٢٠٠٧، ص ٥٨).

سادسا: تعليم المرأة

١-٦- تعليم المرأة في الحضارة الإسلامية:

المرأة العربية في الجاهلية:

عانت المرأة العربية في الجاهلية من سوء المعاملة والنظرة الدونية، ولم تمنح لها أية حقوق لا في المهر ولا في الميراث، ولم يكن لها حتى حق اختيار زوجها، وقد كانت بعض القبائل العربية تئد بناتها خشية العار (عبد الله، ٢٠١٨، ص٣٦). كما أن بعض العرب يتاجر بعفاف جواريه، ويجعل منهن سبباً للكسب وجمع المال عن طريق البغاء، يقول الله تعالى:" وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) النور: ٣٣. وكان ولي المرأة يزوجها ممن يشاء سواء رضيت أم لم ترض، وكان يأخذ مهرها ولا يعطيها منه

Made With Pdf Office

شيئاً. وكان بعض الأزواج يضيق على زوجته ويضارها لتفتدي منه إن كان له مال، ولهذا قال الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا "النساء ١٩.

وكانت المرأة إذا توفى زوجها يلقي أحد أبنائه من غيرها ثوبه عليها، فتصبح له ويرثها كما يرث المتاع، ولهذا قال تعالى:" وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا" النساء ٢٢. وكان الطلاق في الجاهلية مباح للرجل كيف يشاء، دون قيد أو عدد يطلق ويراجع ثم يطلق ويراجع، دون نظام ولا مراعاة لحقوق المرأة، وكانت تترك أحيانا كالمعلقة لاهي مطلقة ولا هي متزوجة (أبو ملحم، ٢٠٠١).

المرأة العربية في الإسلام:

أما في الإسلام تغيرت النظرة للمرأة فهي شريكة الرجل في الحياة؛ فقد عمت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كل مسلم ومسلمة، وأحقية فئة النساء بالتعلم، فكما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قالت النساء للنبي صل الله عليه وسلم غَلَبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن. وفي السنة النبوية حرص على نشر العلم في داخل الأسرة المسلمة، لأن بعض أفردها قد لا ينالون الفرصة لمغادرة المنزل إلى مجالس العلم وحضور دروس العلم. ففي حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه لما جاء في وفد عبد القيس إلى المدينة المنورة للتعلم ومعرفة أمور الدين، قال لهم النبي صل الله عليه وسلم لما تجهزوا ليعودوا: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم، وفي رواية: أحفظوه –أي العلم الذي تعلموه–

Made With Pdf Office

وأخبروه من ورائكم. (خطاطبة،٢٠١٣، ص٤٣٧) وفي العهد المملوكي صار مسموحا للنساء أن يتلقين العلم بالأزهر الشريف مع الرجال، وكانت النساء تطلب العلم لذات العلم، فلم يكنَّ يسعين إلى التخرج والاشتغال بالتدريس كما يفعل الرجال. واستمر الأمر على ذلك حتى صار تقليدا بالنسبة للمترددات على حلقات الدراسة بالأزهر الشريف من النساء حتى أول العقد من القرن العشرين. كانت حلقات الدراسة مفتوحة للذكور والإناث ولكن يظهر أن الإناث كن متواضعات في طموحهن، فكن عادة يحضرن للتحصيل والتثقيف دون أن تتصل مناشطهم بالتقدم للامتحان والتخرج. وصار هذا تقليدا أزهريا، ففتاة الأزهر الشريف تطلب العلم لذاته لا لشيء خارجي حتى ولو كان هذا الشيء الخارجي مجرد الحصول على لقب علمي أو شهادة (صبيح، ١٩٨٨، ٨٠). والكاتبات والشاعرات اللاتي نجد ذكرهن في كتب الآدب أكبر دليل على انتشار التعليم بين النساء، فالعلة في منع الذهاب إلى الكتاتيب ترجع إلى الغيرة على الأخلاق في حفظ الدين (يونس،١٩٨٤، ص٢٧).

٢—٦- تعليم المرأة في الحضارة الغربية:

المرأة الغربية قديما:

كانت الزوجات تباع في إنجلترا ما بين القرن الخامس والحادي عشر، وفي القرن الحادي عشر أصدرت المحاكم قانوناً ينص على أن للزوج الحق في نقل أو إعارة زوجته إلى رجل آخر لمدة محدودة، وكان الحق للشريف أو النبيل الاستمتاع بامرأة الفلاح إلى مدة أربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها على الفلاح (رضا،١٩٣٠، ص٣٦)، وفي عهد الملك هنري الثامن ملك إنجلترا، أصدر البرلمان قراراً يحظر على

Made With Pdf Office

المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد، أي أنه يحرم عليها قراءة الأناجيل وكتب رسل المسيح (عتر، ١٩٧٩، ص١٩).

وفي عام ١٠٧٩م بيعت امرأة في الأسواق بشلنين، لأن الكنيسة في إنجلترا التي كانت تنفق عليها ثقلت بمعيشتها (العقاد،١٩٧٣، ص١٠٦)، وفي القانون الإنجليزي العام حوالي سنة ١٨٥٠م، كانت النساء غير معدودات من المواطنين، فلم يكن لهن حقوق شخصية، فلا حق لهن في تلك الأموال التي يكتسبنها بعرق الجبين، بل لا حق لهن في تملك حتى ملابسهن (الجمري، ١٩٩٣، ص٣٤).

ومن الطريف أن القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات (السباعي،٢٠١٠). وخلال الستينيات من القرن العشرين، حدث أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط، فلما أمتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة، قتلة الزوج البائع (السباعي،٢٠١٠).

وعندما أجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فيلادلفيا الأمريكية، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التدريس بذلك المعهد بل تصادر كل من يستشير كل أولئك الأطباء (العقاد،١٩٨٢، ص١٠٨).

ويروي التاريخ أنه عقد مؤتمر كبير في روما حيث بحث في شؤون المرأة، وكانت نتيجة بحثه أن قرر أنها كائن لا نفس له، وانها من أجل ذلك لن ترث الحياة الأخروية، وأنها رجس يجب ألا تأكل اللحم، ولا تضحك ولا تتكلم، وعليها أن تقضي جميع أوقاتها في العبادة والخدمة والصلاة، وحتى لا تتكلم وضعوا على فمها قفلاً حديدياً،تسير به في الطرقات يسمونه موزلير (الحسيني، ١٩٨٤، ص١٠).

Made With Pdf Office

كما أن الفرنسيون أثبتوا أن المرأة إنسانة، فقد كان مشكوكاً فيها من قبل، وعندما أثبتوها لم يثبتوها كاملة، وإنما جعلوا المرأة تابعاً وخادماً للرجل. ولما قامت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر وأعلنت تحرير الأنسان من العبودية؛ لم تشمل المرأة، حيث حرمت من التصرف في أموالها وممتلكاتها ورأت أنها ليست أهلاً للتعاقد دون رضا وليها (السباعي، ٢٠١٠، ص٥٥)، فنصت المادة السابعة عشر بعد المائتين من القانون الفرنسي– قانون نابليون– على أن المرأة المتزوجة حتى ولو كان زوجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها، لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها، ولا ترهن أو تملك سواء بعوض أو بغير عوض دون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية (وافي،٢٠٠٧،ص٥٥).

ولقد حصل المنعطف الأكبر في أسلوب حياة المرأة الغربية منذ انقلبت أوربا على الدين المتمثل بالكنيسة ورجالها، وانتهجت سبيل العلمانية التي تقوم على نبذ سلطان الدين، فتحول الأوربيون ومن حذا حذوهم بعد ذلك من الإيمان والتزاماته إلى الإلحاد والمادية. فتغير نمط الحياة العامة لدى الغرب وتغيرت كثير من مفاهيمه عن الحياة والقيم وتبدلت فيه المعايير الأخلاقية؛ فما كان بالأمس عاراً أصبح في ظل هذا التغير حرية شخصية، لا يجد الناس ضيراً في ممارستها.

والمرأة كانت هي الصورة الأكثر وضوحاً في انقلاب الغرب على مبادئه وقيمه، فتحولت من ربة الأسرة الحارسة لأخلاق الجيل إلى مظهر من مظاهر التساهل الأخلاقي والقيمي، وفقدت بذلك مقومات أنوثتها المتمثلة بالأمومة والزوجية، وبناء الأسرة، استعاضت كثير من الأوربيات عن الزواج الشرعي بالعلاقات المحرمة العابرة،

Made With Pdf Office

واستبدلت الأسرة المستقرة بأماكن العبث والتسلية، وألقت عنها الضوابط والقيود التي قد تحرمها من شيء من انطلاقها.

ومن أهم مظاهر هذا الانقلاب الهائل في حياة المرأة الغربية:

١- أصبحت المرأة آلة جنسية، تستغل من قبل رجال العلاقات العابرة، ثم يلقي بها لتحمل هي وحدها نتائج هذه العلاقة.

٢- فقدت المرأة الأوربية ثقتها في قدرتها على بناء الأسرة وتربية البناء، وذلك لأنها غادرت أسرتها بمجرد بلوغها، لتنتقل في بيوت العازبين بعيداً عن أجواء التربية والرعاية الأسرية.

٣- فقدت المرأة مصادر الإعالة كالمهر والنفقة وأصبحت وسيلتها الوحيدة للعيش هي الاعتماد على نفسها في الكسب والعمل، وترتبت عليها وحدها نفقات المسكن والمأكل والمشرب وكماليات الحياة المختلفة والإنفاق على أطفالهن (أبو ملحم،٢٠١١).

تعليم المرأة في الحضارة الغربية:

عادة ما ارتبط تعليم الإناث في القرون الوسطى بالأديرة وقد كشفت الأبحاث أن العديد من المربيات كن مسؤولات عن مدارس البنات: مثل القديسة إيتا من إيرلندا- المتوفية ٥٧٠م، أسست مدرسة مشتركة للبنات وكانت معلمة في ديرها، ودرست قديسات عديدات تحت يدها، بما فيهن القديسة المستكشفة بريندان، وقيصرية الصغرى- المتوفية ٥٥٠م. خليفة القديس قيصريوس الذي أسس لها ديرًا للراهبات. استمرت قيصارية الصغرى في التدريس لأكثر من مائة امرأة في الدير وساعدت في نسخ الكتب والحفاظ عليها، والقديسة هيلدا من ويتبي- المتوفية ٦٨٠م. أسست دير ويتبي المشترك (عاش في الرجال والنساء في بيوت منفصلة). وأسست مركزًا للتعليم في ديرها على

Made With Pdf Office

غرار ما أسسته راهبات الفرنجة، وتشير سيرة القديسة هيرليندا وريليندا أيضًا إلى أن السيدات في مدراس الأديرة تمكنن من التدريب على الموسيقى وأشكال الفن، وأثناء عهد الإمبراطور شارلمان، تعلمت زوجته وبناته الفنون الليبرالية في أكاديمية قصر آخن، ولهذا السبب أشيد به في سيرة حياته التي كتبها إينهارد. وهناك أدلة على أن النبلاء علموا بناتهم في أكاديمية القصر أيضًا. وتمشيًا مع ذلك، أشار المؤلفون مثل فينصت إلى أن بنات النبلاء تعلمن على نطاق واسع حتى يتمكن من الارتقاء إلى المناصب الاجتماعية التي تنتظرهم.

وفي بداية الفترة الحديثة والاتجاهات الإنسانية؛ في أوائل تاريخ أوروبا الحديثة، أصبحت مسألة تعليم المرأة أمرًا مألوفًا، بمعنى أنها أصبحت محور المناقشات الأدبية. وتقريبًا في عام ١٤٠٥، نشر كتاب ليوناردو دي بروني كتاب "الفنون والآداب"، موجهًا إلى بابتيستا دي مونتيفيلترو، وكان يشيد بدراسة اللاتينية، ولكنه حذر من دراسة الحساب والهندسة والفلك والخطابة .وفي مناقشة الباحث الكلاسيكي إيسوتا نوجارولا، لاحظت ليزا جاردين أن" التثقيف" (في منتصف القرن الخامس عشر) كان من أجل نساء النبلاء، ولم تكن الكفاءة موجودة بشكل إيجابي.

وفي كتاب يوتوبيا ١٨٥٦، دافع توماس مور عن حق المرأة في التعليم، وكتب إيراسموس باستفاضة عن التعليم في كتابه"De Pueris Instituendis "، ولم يكن معظم الكتاب مهتمين بتعليم الإناث، وتلقت إليزابيث الأولى تعليمًا إنسانيًا قويًا، وأثنى عليها معلمها روجر. وجعلت إليزابيث أنظمة التعليم مناسبة للقيادة، أكثر من وملاءمتها لعموم النساء. وعندما نشرت يوهانس ستورم المراسلات اللاتينية مع روجر والتي تركزت على إنجازات إليزابث في الدراسة الإنسانية.

Made With Pdf Office

وكان ذهاب الإناث إلى المدارس نادر الحدوث؛ كان هناك افتراض بأن التعليم يجب أن يكون في المنزل. وكان كومينيوس مدافعًا عن التعليم النظامي للمرأة، وفي الواقع، كان تأكيد كومينيوس على نظام التعليم شامل لا يميز بين البشر؛ مع إمكانية تدخل الوالدين. ودافع في كتابه Pampaedia عن التعليم المدرسي للجميع بدلا من الدروس الخصوصية التي يتلاقاها البعض، وجرى التطرق لقضية تعليم المرأة عموما بوصفها قضية تحررية وعقلانية في عصر التنوير وكتبت المؤلفة والفيلسوفة ماري وولستونكرافت حول هذا الشأن. وكان أول كتاب لها بعنوان" أفكار حول تعليم البنات"، قد نُشِر قبل سنوات من كتابها الشهير" دفاعا عن حقوق المرأة."

كانت لجنة التربية الوطنية التي تأسست عام ١٧٧٧ في الكومنولث البولندي الليتواني أول وزارة للتعليم في التاريخ، وعُدت بمثابة هيئة مستقلة مركزية مسؤولة عن التدريب التربوي الوطني المشترك والعلماني. ونُظِمت ما يعرف بجامعة الطيران فيما كان يعرف آنذاك بأقاليم روسيا ببولندا في أواخر القرن التاسع عشر، وذلك ردًا على نقص التدريب والتعليم العالي للنساء، حيث قام الأكاديميون والعلماء البولنديون بتدريس النساء سرًا. وكانت ماريا سلكودوفسكا كوري المشهورة باسم ماري كوري أشهر هؤلاء طالبات، وحازت كوري على جائزتي نوبل.

تحكمت المؤسسات الدينية بالتوجيه الذي سلكه التعليم إلى حد كبير. ولم تضع جميع المتعلمات فكرة الزواج والأمومة كهدف لهن؛ ومثال على ذلك سماح نظرية كويكر حول المرأة بالمساواة في تأسيس المذاهب في منتصف القرن السابع عشر. وأدى إلغاء عقوبة الإعدام على ويليام ألين وزوجته جريزيل هور إلى إنشائها أكاديمية

Made With Pdf Office

نوينغاتون للبنات عام ١٨٢٤، ودُريست فيها مجموعة واسعة من اللغات إلى العلوم بصورة غير عادية.

بدأ التقدم الفعلي من الناحية المؤسساتية للتعليم العلماني للمرأة في الغرب في القرن التاسع عشر، وذلك بتأسيس كليات تعليم مخصصة للفتيات، وظهرت هذه الكليات في منتصف القرن. وفي عام ١٨٤٨ افتتحت كلية كوين كوليدج في لندن لأول مرة. وقامت إميلي ديفيز بحملة لتعليم المرأة في ستينات القرن التاسع عشر. وأسست كلية جريتون في عام ١٨٦٩، مثلما فعلت آن كلوف التي أسست كلية نيونهام في عام ١٨٧٥. وكان التقدم تدريجيًا، وغالبا ما اعتمد على الجهود الفردية– على سبيل المثال، مجهودات فرانسيس ابتون، التي أدت إلى تأسيس مدرسة ذا ليدز جيرلز العليا في ١٨٧٦.

وعندما بدأن النساء في التخرج من مؤسسات التعليم العالي، تطورت بشكل متزايد التيارات الأكاديمية للتعليم، وتدريب المعلمات بأعداد كبير لتوفير التعليم الابتدائي. ومرت عدة أجيال حتى وصلت المرأة إلى مؤسسات الذكور. وبدأت كلية كوينز (١٨٤٨) وكلية بيدفور (١٨٤٩) في لندن، في تقديم فرصًا لتعليم المرأة. وبحلول عام ١٨٦٢، كانت ديفيز تؤسس لجنة لإقناع الجامعات بالسماح للمرأة بحضور اختبارات كامبريدج، التي تم تأسيسها مؤخرا بنجاح جزئي (١٨٦٥) وبعد ذلك بعام، نشرت كتاب التعليم العالي للمرأة. وأسست مع بوديشون أول مؤسسة للتعليم العالي للنساء، والتحقت بها ٥ طالبات، وأصبحت هذه المؤسسة كلية جريتون، بجامعة كامبردج1973 ، وتليها قاعة ليدي مارجريت في جامعة أكسفورد .1879 وقد بدأت بمنح الشهادات في العام السابق. وعلى الرغم من هذه التطورات القابلة للقياس، تمكن عدد قليل من الاستفادة منها، وكانت حياة الطالبات من النساء صعبة للغاية.

Made With Pdf Office

وكجزء من الحوار المستمر بين النسويات البريطانية والأميركية، حاضرت إليزابيث بلاكويل، وهي أول امرأة في الولايات المتحدة تتخرج في الطب (١٨٤٩)، بمساعدة لانهجام. وساندت محاولات إليزابيث غاريت لمهاجمة التعليم الطبي البريطاني. وحصلت غاريت في نهاية المطاف على شهادتها في فرنسا وتعتبر حملة غاريت الناجحة في الترشح لمنصب مجلس إدارة كلية لندن عام١٨٧٠، مثالًا آخرًا يوضح كيف تمكنت مجموعة صغيرة من النساء الحازمات من الوصول إلى مناصب السلطة على مستوى الحكومة المحلية والهيئات العامة (ويكبيديا،٢٠٢٠).

ختاماً:

مما سبق نلحظ أن تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية بدأ قبل الحضارة الغربية بنزول الوحي على محمد صل الله عليه وسلم، أما في الغرب فقد بدأ تعليم الكبار متأخرا فقد كان تعليم الصغار هو السائد، فظهر تقريباً بعد الثورة الصناعية والمطالبة بحقوق الأنسان والديمقراطية وعقد المؤتمرات، وقد اتفق المؤرخين أن تعليم الكبار بدأ في أمريكا عام ١٦٧٠م، وبدأ في إنجلترا مع بداية الثورة الصناعية الأولى التي أدت إلى ميكنة العمل البدني، وتعددت برامج تعليم الكبار وتنوعت أثرت في حركة تعليم الكبار، ومصطلح تعليم الكبار لم يكن متداولاً قبل ١٩٢٤م.

كانت الغاية من تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية لغايات دينية ودنيوية، لمعرفة واجباته الدينية والدعوة إلى الله، ولتمكين المسلم من الاستفادة منه في حياته الدنيوية وعمارة الأرض، فهو أصل متأصل في الفكر الإسلامي، تؤكد على قيمة العلم والعلماء، قدم لكافة فئات المجتمع وكافة الأعمار وللجنسيين، جاءت الشريعة الإسلامية ملزمة للتعلم، وفي كل زمان ومكان أما في الحضارة الغربية فكانت الغاية من تعليم الكبار لأهداف دنيوية بحته بعيدة عن الدين علمانية في أساساها، مادية بحته تسعى لتحقيق أهداف الفرد في الحصول

Made With Pdf Office

على الوظيفة والترقي وتحقيق الرفاهية للمجتمع، وتؤكد على اقتصاد المعرفة وبناء مجتمع المعرفة، ملزمة لبعض مراحل التعليم وفي بعض جوانب التعليم كما في الطب، مقسمة التعليم في الحضارة الغربية الى التعليم النظامي والتعليم غير النظامي، والعرضي ولجميع الأعمار ولكافة طبقات المجتمع وفئاته.

أهم رواد تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية الرسول محمد صل الله عليه وسلم، والصحابة من بعده والتابعين والمسلمين من بعدهم، من أمثال: الزرنوجي والغزالي والقابسي والبغدادي وابن حنبل وابن قتيبة وابن رشد وابن الجوزي رحمهم الله، أما في الحضارة الغربية فقد نادى به الفيلسوف كمنيوس (١٩٥٠-١٦٧٠) في كتابه فن التعليم الأكبر، وأول من تكلم عن التربية المستمرة باشلارد عام (١٨٨٤- ١٩٦٢)، وباولو فريري، ومالكولم نولز، وإدوارد ليندمان، وجون ديوي.

مؤسسات تعليم الكبار متنوعة منها المسجد والكتاتيب والربط والزوايا والمدارس والمعاهد، كما ذكر أن الحضارة الإسلامية تنوعت مؤسسات تعليم الكبار والتي منها: المساجد، وقصور الأثرياء، وحوانيت الوراقين، ومنازل العلماء، ودور الحكمة والجمعيات والمجالس العلمية والأدبية، والبيمارستنات. واتسم تعليم الكبار في الحضارة الإسلامية بالتعلم مدى الحياة، والتعليم المفتوح، وحرية الأساتذة، والارتحال في طلب العلم، والمساواة بين الذكر والأنثى، أما في الحضارة الغربية فقد بدأ بتدريب العمال وأنتشر إلى باقي القطاعات المهنية المختلفة، وظل تعليم الكبار نشاطاً تقوم به المؤسسات الاجتماعية عموماً والدينية منها بوجه خاص، ومنذ عام ١٨٦٠ بدأت الجامعات الشعبية تفتح أبوابها في الغرب وظهرت برامج محو الأمية والمدارس الصيفية ومدارس الأحد والدروس المسائية ومراكز الثقافة العمالية، وفي النصف الأول من القرن العشرين بدأت الجامعات الاهتمام بتعليم الكبار كحقل أكاديمي.

Made With Pdf Office

وتشترك الحضارتين الإسلامية والغربية في طريقة تمويل برامج تعليم الكبار؛ فهو يتم بشكل فردي وتطوعي ومشاركة من الدولة، لكنها تختلف في أن تمويل برامج تعليم الكبار لا يمثل مشكلة في الحضارة الإسلامية لأنه يمثل جانب تدعو له العقيدة الإسلامية بوجوب تعلمه ووجوب تزكيته بنشرة ووجوب تعلم العلم للغير؛ لحديث الرسول صل الله عليه وسلم" من سُئل عن علمٍ فكتمه ألجمه اللهُ بلِجامٍ من نارٍ يومَ القيامةِ" رواه أبو هريرة وصحيح أبي داود، أما في الحضارة الغربية فهو يعاني من نقص التمويل والدعم الحكومي وغير الحكومي.

أما فيما يتعلق بتعليم المرأة فقد حثت عليه العقيدة الإسلامية وأكدت عليه بنزول الوحي على الرسول صل الله عليه وسلم، وفي الحضارة الغربية ظهر تعليم المرأة بعد نشوب الحروب وعقد المؤتمرات والاهتمام بحقوق الأنسان والديمقراطية. لكن تميز تعليم المرأة في الحضارة الإسلامية بالمحافظة عليها وصونها من الانحراف وكرمها، فهو تعليم من أجل تعلم أمور الدين والعمل في حدود الشريعة، بعيداً عن الانحراف والتخلي عن الأسرة، أما الغرب فقد أهتم بتعليم المرأة مع بدايات عصر التنوير والنهضة، مجانبا لطبيعة المرأة ومساواة بالرجل دون مراعاة لطبيعتها ورسالتها في الحياة.

ومن هنا فإن حضارة تعليم الكبار الإسلامية بتميزها ورقيها تهتم بالإنسان والمجتمع، ولا تمنع الحضارة الإسلامية التواصل مع الحضارات الأخرى والاستفادة منها، بعيداً عن التبعية العمياء، فيما يخدم البشرية، وهذا يتطلب المزيد من الدراسات لتراثنا الحضاري في تعليم الكبار ليكون لنا تربية متميزة معاصرة مزدهرة مبتكرة تعمل على حل المشكلات التربوية للمجتمعات.

Made With Pdf Office

المراجع:

إبراهيم، إبراهيم محمد. (٢٠٠٧). تعليم الكبار في عبر العصور. آفاق جديدة في تعليم الكبار– مصر. ع٦.

إبراهيم، إبراهيم محمد؛ عبد السميع، مصطفى؛ الخنكاوي، إبراهيم محمد؛ محفوظ، سهير أنور، الصاعدي، يحي؛ الغبار، سالم. (١٤٣٠هـ). تعليم الكبار في الوطن العربي. ط١. دار الفكر.

أبو ملحم، محمد حسني. (٢٠١١). المرأة بين الشريعة وجاهلية العصر. الأردن، عمان: دار أمواج للنشر والتوزيع.

اشتاتو/ محمد. (٢٠٠٧). تعليم الكبار في عصر تكنولوجيا المعرفة. مجلة علوم التربية. دورية مغربية نصف سنوية. ع٣٣.

أمعيضشو، فريد. (٢٠٠٨). مفهوم الحضارة في الثقافتين العربية والغربية. مجلة فكر ونقد– المغرب. ع٩٩.

إيريس، س. (١٩٦٦). الحضارة الصناعية: ما لها وما عليها. ترجمة: محمد ماهر نور. مصر، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

بكر، عبد الجواد السيد. (٢٠٠٦). التربية المقارنة والسياسات التعليمية. مكتب بداية. كفر الشيخ: مطبعة السلام.

بويوزان، بنعيسى أحمد. (٢٠١٥). نقد الحضارة الغربية وتقويمها فكر الإمام بديع الزمان النورسي. النور للدراسات الحضارية والفكرية. س٦.ع١١.

الجمري، عبد الأمير منصور. (١٩٩٣). المرأة في ظل الإسلام. ط٤. لبنان، بيروت: مكتبة الهلال.

الحسيني، مبشر الطرازي .(١٩٨٤). المرأة وحقوقها في الأسلام. مصر، الأسكندرية: مكتبة حميدو.

الحشود، علي بن نايف. (٢٠١١). الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل (١) الباب الأول الحضارة الإسلامية وأسسها.

خاطر، محمود رشدي؛ جلال، عبد الفتاح. (١٩٧٢). تعليم الكبار تعريف بمجالاته وطرقه. مجلة آراء في التعليم الوظيفي للكبار، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار. مصر، سرس الليان.

خطاطبة، عدنان مصطفى. (٢٠١٣). دور التعليم المستمر في مواجهة تحديات العولمة الاجتماعية من

Made With Pdf Office

منظور تربوي إسلامي. دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد٤٠، العدد٢،٢٠١٣.
الخولي، محمد علي. (١٩٩٣). البريق الزائف للحضارة الغربية. الأردن، صويلح: دار الفلاح.
ديورانت، ويليام جيمس.١٩٨٨). قصة الحضارة. ترجمة محي الدين صابر وزكي نجيب محمود. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. لبنان، بيروت: دار الجيل.
الرشدان، عبدالله زاهي. (١٩٩٤). تطور المهنة التعليمية والإعداد المهني لمعلمي الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين وأثرة في التعليم المعاصر.مؤته للبحوث والدراسات – سلسلة العلوم الإنسانية. مج٩. ع٣.ص٩٥-١٣١.
رضا، محمد رشيد. (١٩٣٠). نداء للجنس اللطيف. مصر، القاهرة: مطبعة المنار.
السباعي، مصطفى. (٢٠١٠). المرأة بين الفقه والقانون. ط٤. مصر، الإسكندرية: دار السلام.
صابر، محي الدين. (١٩٨٨). تعليم الكبار في الإسلام. التربية المستمرة –البحرين. س٩. ع١٤.
الصافي، هاشم أبو زيد. (١٩٨٩). الأمية في الوطن العربي. ط١. عمان: منتدى الفكر العربي.
الصالحي، نجدت قاسم. (١٩٨٠). التربية المستمرة في التراث وانعكاساتها في الوقت الحاضر.تعليم الجماهير. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.س٧، ع١٦.ص١٠٩-١٢٠.
صبيح، نبيل أحمد عامر. (١٩٨٨). مقدمة في التربية المقارنة. مصر، القاهرة: المطبعة الفنية.
عبد الجواد، نور الدين محمد. (١٩٩٣). نظرية التربية المستمرة وتطبيقاتها في التربية الإسلامية. رسالة الخليج العربي– مكتب التربية العربي لدول الخليج. ع٤٧.س١٤.ص١٥-٥٤.
عبد اللطيف، دعاء عثمان. (١٩٩٨). مؤتمرات تعليم الكبار العالمية وأثرها على حركة تعليم الكبار في مصر– دراسة تحليلية، رسالة ماجستير. مصر، جامعة القاهرة، معهد الدراسات التربوية.
عبد الله، الشيماء محمد إبراهيم. (٢٠١٨). قضايا المرأة بين التراث والواقع الحضاري. الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية. مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. ع١١، ج٢. ص٧١-٩٤.
عبدالدائم، عبدالله. (١٩٨٤). التربية عبر العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين. ط٥. لبنان، بيروت: دار العلم للملايين.
عتر، نور الدين. (١٩٧٩). ماذا عن المرأة. ط٣. سوريا، دمشق: دار الفكر.
عثمان، محمد الصائم. (١٤٢٢). تعليم الكبار ومحو الأمية تجارب بعض الدول العربية. بيشة: مكتبة

Made With Pdf Office

الخبيتي الثقافية.
عجاوي، محمود أحمد. (١٩٩٤). اتجاهات معاصرة في تعليم الكبار. تعليم الجماهير– تونس. س٢١، ع٤١. ص١٦٠–١٧٨.
عطا، راضي إسماعيل محمد. (١٩٨٤). التربية المستمرة في الإسلام. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة المنوفية. كلية التربية. قسم أصول التربية.
العقاد، عباس محمود. (١٩٧٣). المرأة في القرآن. مصر، القاهرة: دار السلام.
علام، فاروق محمد. (٢٠٠٥). تعليم ومعلم الكبار في أوربا نماذج من سويسرا وألمانيا. المؤتمر السنوي الثالث – معلم الكبار في القرن الحادي والعشرين. مصر، جامعة عين شمس والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– مركز تعليم الكبار. ص١٢٧–١٣٥.
علوان، عبد الله. (١٩٨٠). معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية. ط١. سوريا، دمشق: دار السلام.
العمايرة، محمد حسن. (١٤٢١). الفكر التربوي الإسلامي. ط١. الأردن، عمان: دار المسيرة للنشر.
قمبر، محمود. (١٩٩١). هدفية العلم في الإسلام. حولية كلية التربية –قطر. س٨.ع٨. ص١٩–٧٨.
قمبر، محمود. (٢٠٠٥). معلم الكبار وحوار الحضارات. المؤتمر السنوي الثالث– معلم الكبار في القرن الحادي والعشرين. مصر. ص٥٣٩–٥٤٦.
كحيل، حسن احمد محمد. (٢٠٠١). تعليم الكبار في صدر الإسلام: دراسة وصفية تحليلية. رسالة دكتورة غير منشورة. جامعة الميناء. كلية التربية. قسم أصول التربية.
لال، زكريا يحي. (١٤٠٩). تعليم الكبار ومحو الأمية بين النظرية والتطبيق. ط١. الرياض: مكتبة العبيكان.
ليستاج، اندرية. (١٩٨٢). الأمية ومحو الأمية. باريس: اليونسكو. دراسات وثائقية تربوية. ع٤٢.
مدكور، علي أحمد. (١٩٩٣). المضامين الإسلامية لتعليم الكبار في ضوء القرآن والسنة. في علم تعليم الكبار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجهاز العربي نحو الأمية وتعليم الكبار، تونس، الجزء السادس.
مرسي، محمد منير. (٢٠٠١). الاتجاهات الحديثة في تعليم الكبار. مصر، القاهرة: عالم الكتب.

Made With Pdf Office

الملا، أحمد علي. (١٤٠١). أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية. دار المفكرين الغربيين. دمشق: دار الفكر في ابن خلدون. ط٢.

الندوي، أبو الحسن. (١٣٨٤). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. ط٥. مصر، القاهرة: دار العروبة.

نصار، سامي محمد عبد المقصود. (٢٠٠٧). اقتصاديات محو الأمية. تعليم الجماهير. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – إدارة التربية. س٣٤. ع٥٤.ص٥٥-٧٩.

وافي، علي عبد الواحد. (٢٠٠٧). المساواة في الإسلام. مصر، القاهر: الهيئة العامة للكتاب.

ويكبيديا. (٢٠٢٠). تعليم الإناث. تاريخ الدخول ٢٠٢٠/٤/٦م.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%A7%D8%AB

يونس، فتحي على. (١٩٨٤). بعض خصائص تعليم الكبار في الإسلام. التربية المستمرة. البحرين. س٥ ع ٨. ص٢٢-٢٩.

المراجع الأجنبية:

Chugal, O. (2014). Legislative History of Adult Education in the USA. *Education's Role in Preparing Globally Competent Citizens*, 469.

Feltsan, I. (2017). Development of Adult Education in Europe and in the Context of Knowles' study. *Comparative Professional Pedagogy*, *7*(2), 69-75.

Newsom, R. (1980). In Quest of Knowledge: Adult Education in Sixteenth Century England and Its Relation to the Origins of the" Modern Era" of Adult Education.

Sticht, T. G. (2002). The Rise of the Adult Education and Literacy System in the United States: 1600-2000. *Office of Educational Research and Improvement*. http://ncsall.net/index.html@id=576.html

Ulich, M. E. (1965). Patterns of Adult Education, a Comparative study.

Made With Pdf Office